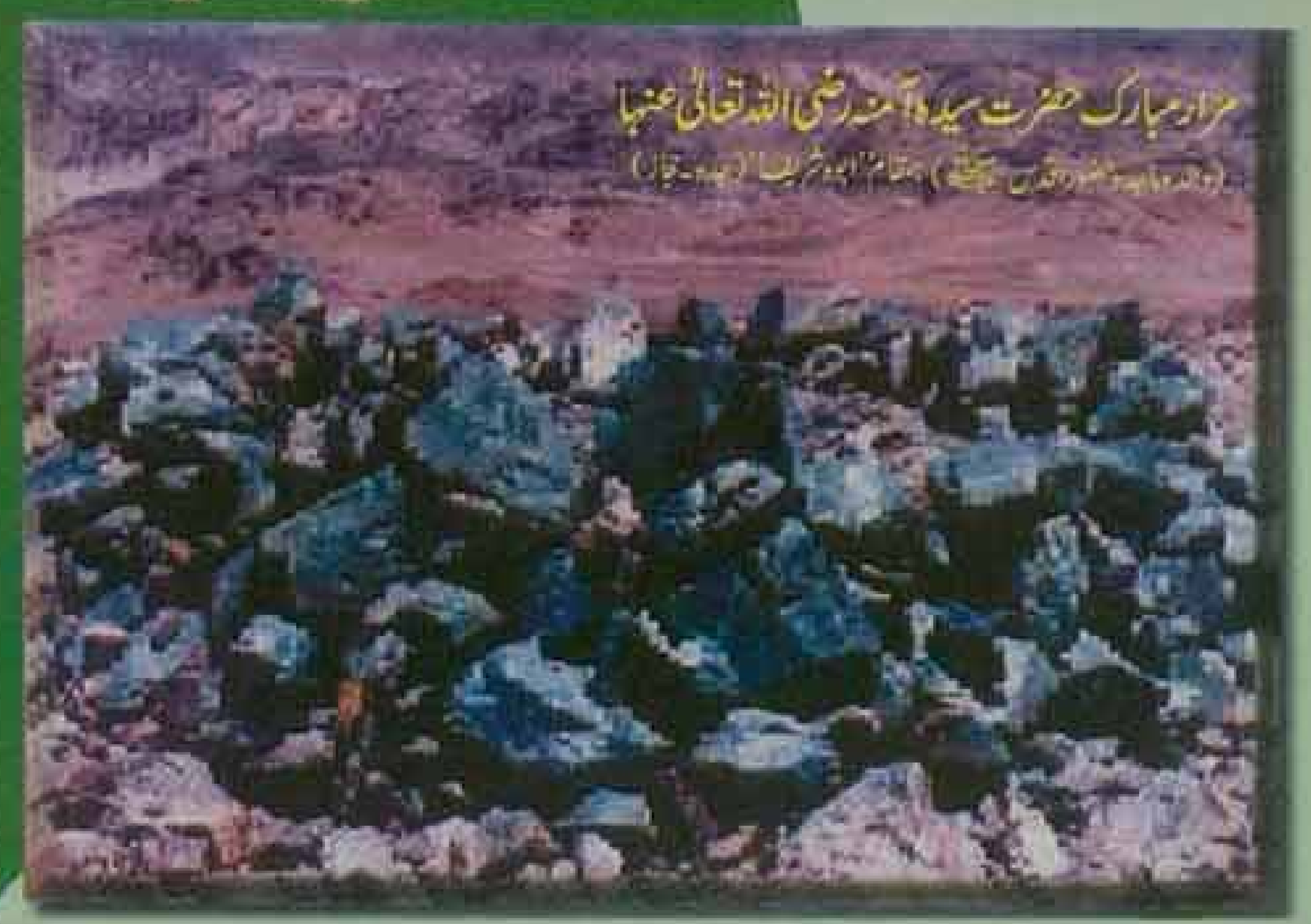


للشيخ الامام العلامة حافظ العصر وحيد الدهر
ابي الفضل جلال الدين عبد الرحمن ابي بكر السيوطي
رضي الله تعالى عنه





مسالک الحنفا

فی

والدی المصطفیٰ

صلی اللہ علیہ وآلہ وسلم

التقديم

على مسالک الحنفاء

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لوليه و الصلوة و السلام على نبيه و على آله و صحبه اجمعين امابعد فقد خلق الله تعالىٰ نور نبيه ﷺ قبل جميع الاشياء كما روى عبد الرزاق بن همام عن جابر الصحابى رضى الله تعالىٰ عنه قال : قلت يا رسول الله ب ابى انت و امى ،اخبرنى عن اول شئ خلقه الله تعالى قبل الاشياء قال يا جابر ان الله تعالىٰ قد خلق قبل الاشياء نور نبيك من نوره الخ (قد رواه الامام البيهقى ايضا فى دلائل النبوة نحو رواية عبد الرزاق واخذه بالقبول اكابر علماء الاسلام و اعتمدوا عليه و هم الامام القسطلانى و الامام ابن حجر المكى و العلامة الزرقانى و العلامة الفاسى و الشيخ عبد الحق الدهلوى وغيرهم ملأ الله تعالىٰ قبورهم نورا)۔

فلما خلق الله تعالىٰ آدم جعل ذلك النور فى صلبه فكان يلمع فى جبينه ثم استقر ذلك النور فى رحم ام البشر سيدتنا حواء رضى الله تعالىٰ عنها فلم يزل ذلك فلم يزل ذلك النور ينتقل به من الاصلاب الكريمة الى الارحام الطاهرة حتى ولد ﷺ من ابويه الكريمين رضى الله تعالىٰ عنهما۔ فى ثبوته احاديث كريمة فى كتب الاحاديث انقل ههنا الحديثين ۔

(۱) قال رسول الله ﷺ لم ازل انقل من اصلاب الطاهرين الى ارحام الطاهرات (رواه ابو نعيم فى دلائل النبوة عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما)

(٢) يقول رسول الله ﷺ لم يزل الله ينقلنى من الاصلاب الكريمة و الارحام الطاهرة حتى اخرجنى من بين ابوىّ (رواه ابن ابى عمر و العذيى فى سنده عنه وا يضا نقله الشيخ الامام العلامة حافظ عصره و وحيد دهره ابو الفضل حلال الدين ابو بكر السيوطى الشافعى المتوفى سنه ٩١١هج فى كتابه المسمى بكفاية الطالب اللبيب فى خصائص الحبيب المعروف بالخصائص الكبرى فى معجزات خير الورى الملحد الاول ص ٣٩ و ايضا الامام و العلامة المحقق القاضى ابو الفضل عياض الاندلسى المتوفى۔ سنه ٥٧٧هج فى كتابه المسمى ۔ الشفاء بتعريف حقوق المصطفى المحلد الاول ص ٨٣

يدل الحديثان المذكوران على ان ابويه الكريمين ﷺ و رضى الله تعالیٰ عنهما، طاهران عن الكفرو الشرك و الضلالة و عن كل افعال الحاهلية هذا امر مسلم ان الذى يحب الله تعالیٰ حبا خالصا يحب حبيب الله تعالیٰ حبا شديدا و الذى يحب رسول الله ﷺ يمنع و يتوقف عن اهانة والديه الكريمين ﷺ بل لا يقصر تعظيمهما اصلا ۔ لكن الذين لم تومن قلوبهم و الذين نافقوا يقولون و يكتبون لكلمات تستوجب اهانة ابويه الكريمين ﷺ و هم الذين يقلدون الافكار الفاسدة والاعتقدات الوذيلة لابن التيمية و يتبعون عقائد ابن عبد الوهاب النحدى منهم المولوى رشيد احمد الغنغوهى يكتب فى فتاواه المسماة بالفتاوى الرشيدية ۔

سوال:۔ ہمارے حضرت محمد رسول اللہ کے والدین مسلمان تھے یا نہیں؟
جواب:۔ حضرت ﷺ کے والدین کے ایمان میں اختلاف ہے حضرت امام صاحب کا مذہب یہ ہے کہ ان کا انتقال حالت کفر میں ہوا ہے۔
(فتاوی رشیدیہ ص ۱۰۴ الناشر مکتبہ تھانوی دیوبند)

ترجمة السوال :- أ كان والدا سيدنا محمد رسول الله ﷺ مسلمين ام لا
الحواب : - فی ایمان والدیه اختلاف ذهب الامام الی انهما توفیا حالة الكفر ـ

قد كتب المولوی الغنغوهی بغاية القساوة فی والدی رسول الله ﷺ ، انها قد توفي و هما كافران ـ ولكن ما ذكر مرجعا بل افتى بما سولته نفسه فانه كتب جوابا عديم المبنى فمن اراده الغنغوهی بقوله : الامام ـ فانه لم يعين مراده منه و فعل ذلك ليخدع الناس ـ لان لفظة ـ الامام ـ اكثر ما يتبادر منه فهم القارى الى الامام ابی حنيفة رضی الله تعالىٰ عنه ـ

فلان بدل ان يفهم القارى لهذه العبارة للغنغوهی ان الامام ابا حنيفة يقوله و لكن هناك لا دليل على ان اماما كبيرا من ائمة الاسلام ذهب الى انه والدا رسول الله ﷺ ماتا و هما كافران ـ

وقد بسط هذه الموضوع، العلامة المفسر جلال الدين السيوطی المتوفی ـ ٩١١هج و جاء بدلائل قوية من كتاب الله و من سنة رسله الكريم ﷺ و استفاد لدعاوه من الكتب الآتية اسماء ها بالذيل ـ

(١) مسالك الحنفاء فی ايمان المصطفی ﷺ
(٢) التعظيم و المنة فی ان ابويه رسول الله فی الجنة ﷺ
(٣) نشر العلمين المنيفين فی احياء الابوين الشريفين
(٤) السبل الجلية فی الاباء العليه
(٥) المقامة السندسية فی النسبة المصطفوية
(٦) الدرج المنيفة فی الاباء الشريفة

و وقد از معنا على اخراج ونشر هولاء الكتب القيمه من ـ مركز اهل السنة بركات رضا فور بندر ـ غجرات ـ الهند ـ بتوفيق من الله تعالىٰ

فكتاب ـمسالك الحنفاء فى ايمان والدى المصطفى ﷺ للسيوطى رحمه الله تعالىٰ اول حلقة من تلك السلسلة للنشر و التوزيع نسئل الله تعالىٰ ان يتقبل منا بوسلية حبيبه المصطفى ﷺ و ان ينفع به كل عام و خاص۔ و الله ولى الانعام و هو الملك العلام ۔

و انا احقر العباد

عبد الستار بن حبيب الهمدانى (المصروف)

البركاتى النورى ۔ فور بندر ۔ غجرات ،الهند۔

يوم الثلثاء۔ السابع و العشرين من شهر صفر لسنة

١٤٢٢هج الموافق للثانى والعشرين من ايار(مايو) لسنة

٢٠٠١م



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى

هذا تأليف يسمى «مسالك الحنفا في والدي المصطفى» في مسألة الحكم في أبوي النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنهما ناجيان وليسا في النار، صرح بذلك جمع من العلماء؛ ولهم في تقرير ذلك مسالك:

المسلك الأول

أنهما ماتا قبل البعثة ولا تعذيب قبلها لقوله تعالى: ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾[1] وقد أطبقت أئمتنا الأشاعرة من أهل الكلام والأصول، والشافعية من الفقهاء على أن من مات ولم تبلغه الدعوة يموت ناجياً، وأنه لا يقاتل حتى يدعى إلى الإسلام؛ وأنه إذا قتل يضمن بالدية والكفارة، نص عليه الإمام الشافعي رضي الله عنه وسائر الأصحاب، بل زاد بعض الأصحاب وقال: إنه يجب في قتله القصاص، ولكن الصحيح خلافه لأنه ليس بمسلم حقيقي، وشرط القصاص المكافأة. وقد علل بعض الفقهاء كونه إذا مات لا يعذب بأنه على أصل الفطرة، ولم يقع منه عناد ولا جاءه رسول فكذبه.

وهذا المسلك أول ما سمعته في هذا المقام الذي نحن فيه من

(١) الآية ١٥ / من سورة الإسراء.

شيخنا شيخ الإسلام شرف الدين المناوي[1] فإنه سئل عن والد النبي صلى الله عليه وآله وسلم : هل هو في النار؟ فزأر السائل زأرة شديدة ، فقال له السائل : هل ثبت إسلامه؟ فقال : إنه مات في الفترة ولا تعذيب قبل البعثة . ونقله سبط ابن الجوزي[2] في كتاب « مرآة الزمان » عن جماعة فإنه حكى كلام جده على حديث إحياء أمه صلى الله عليه وآله وسلم ثم قال : ما نصه : وقال قوم قد قال الله تعالى ؛ ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً ﴾، والدعوة لم تبلغ أباه وأمه فما ذنبهما ؟ .

وجزم به الأبي في « شرح مسلم » وسأذكر عبارته، وقد ورد في أهل الفترة أحاديث أنهم يُمتحنون يوم القيامة ، وآيات مشيرة إلى عدم تعذيبهم ، وإلى ذلك مال حافظ العصر شيخ الإسلام أبو الفضل ابن حجر في بعض كتبه فقال : والظن بآبائه صلى الله عليه وآله وسلم يعني الذين ماتوا قبل البعثة أنهم يطيعون عند الامتحان إكراماً له صلى الله عليه وآله وسلم لتقرَّ بهم عينه، وقد جعلت قضية الامتحان داخلة في هذا المسلك مع أن الظاهر أنها مسلك مستقل لكن وجدت ذلك لمعنى دقيق لا يخفى على ذوي التحقيق .

---

(١) وذكر في حسن المحاضرة : المناوي هو قاضي القضاة شرف الدين يحيى بن محمد بن محمد بن محمد شيخنا شيخ الإسلام ، ولد سنة ثمان وتسعين وسبع مائة ولازم الشيخ ولي الدين العراقي وتخرج به في الفقه والأصول وسمع الحديث عليه وعلى الشرف ابن الكويك وتصدى للإقراء والإفتاء وتخرج به الأعيان ووُلِّي تدريس الفقه الشافعي وقضاء الديار المصرية ، وله تصانيف ، منها شرح مختصر المزني ، توفي ليلة الإثنين ثاني عشر جمادى الآخرة سنة إحدى وسبعين وثماني مائة ـ رحمه الله تعالى .

(٢) وهو أبو المظفر يوسف بن قز أوغلي المعروف بسبط ابن الجوزي ، المتوفى سنة أربع وخمسين وست مائة. القاضي محمد شريف الدين البالمي (المرحوم مصحح الدائرة سابقاً).

ذكر الآيات المشيرة إلى ذلك

الآية الأولى قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ وهذه الآية هي التي أطبقت أئمة السنة على الاستدلال بها في أنه لا تعذيب قبل البعثة، وردوا بها على المعتزلة ومن وافقهم في تحكيم العقل. أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم في تفسيريهما عن قتادة في قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ قال: إن الله ليس بمعذب أحداً حتى يسبق إليه من الله خبر أو يأتيه من الله بينة.

الآية الثانية قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَٰفِلُونَ﴾[1]، أورد هذه الآية الزركشي[2] في «شرح جمع الجوامع» استدلالاً على قاعدة أن شكر المنعم ليس بواجب عقلاً بل بالسمع.

الآية الثالثة قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ، فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[3] أورد هذه الزركشي أيضاً. وأخرج ابن أبي حاتم في تفسيره عند هذه الآية بسند حسن عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: الهالك في الفترة يقول: ربِّ! لم يأتني كتاب ولا رسول، ثم قرأ هذه الآية: ﴿ربنا لولا أرسلت إلينا رسولاً فنتبع آيتك ونكون من المؤمنين﴾.

الآية الرابعة قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ لَقَالُوا

---

(١) الآية ١٣١/ من سورة الأنعام.

(٢) الزركشي ... وهو العلامة الشيخ بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي الشافعي رحمه الله، المتوفى سنة أربع وتسعين وسبع مائة. القاضي محمد شريف الدين (م ـ د).

(٣) الآية ٤٧/ من سورة القصص.

رَبَّنَا لَوْ لَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ أَيَٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ ﴾ (١) أخرج ابن أبي حاتم في تفسيره عند هذه الآية عن عطية العوفي قال: الهالك في الفترة يقول: رب! لم يأتني كتاب ولا رسول، وقرأ هذه الآية: ﴿ وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ ﴾ إلى آخر الآية.

الآية الخامسة قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولاً يَتْلُوا عَلَيْهِم آيَٰتِنَا ﴾(٢). اخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس وقتادة في الآية: وإلا لم يهلك الله تعالى أهل مكة حتى بعث إليهم محمداً صلى الله عليه وآله وسلم، فلما كذبوا وظلموا فبذلك هلكوا.

الآية السادسة قوله تعالى: ﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ * أَن تَقُولُوا إِنَّمَا أُنزِلَ الْكِتَٰبُ عَلَىٰ طَائِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَٰفِلِينَ ﴾(٣).

الآية السابعة قوله تعالى: ﴿ وَمَا أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ ذِكْرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴾(٤)، أخرج عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم في تفاسيرهم عن قتادة في الآية قال: ما أهلك الله من قرية إلا من بعد الحجة والبينة والعذر حتى يرسل الرسل وينزل الكتب تذكرة لهم وموعظة وحجة لله ﴿ ذِكْرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴾ يقول: ما كنا لنعذبهم إلا من بعد البينة والحجة.

الآية الثامنة قوله تعالى: ﴿ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحاً غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ، أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ

---

(١) الآية ١٣٤/ من سورة طه. (٢) الآية ٥٩/ من سورة القصص.

(٣) الآيتان ١٥٥ و١٥٦/ من سورة الأنعام. (٤) الآيتان ٢٠٨ و٢٠٩/ من سورة الشعراء.

ٱلنَّذِيرُ﴾[1] : قال المفسرون : احتج عليهم ببعثة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو المراد بالنذير في الآية.

ذكر الأحاديث الواردة في أن أهل الفترة يمتحنون يوم القيامة فمن أطاع منهم أدخل الجنة ومن عصى أدخل النار

الحديث الأول : أخرجه الإمام أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه في مسنديهما والبيهقي في «كتاب الاعتقاد» وصححه عن الأسود بن سريع ـ رضي الله عنه ـ أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : (أربعة يحتجون يوم القيامة : رجل أصم لا يسمع شيئاً ، ورجل أحمق، ورجل هرم، ورجل مات في فترة ؛ وأما الأصم فيقول : ربِّ ! لقد جاء الإسلام وما أسمع شيئاً، وأما الأحمق فيقول : ربِّ ! لقد جاء الإسلام والصبيان يخذفوني بالبعر، وأما الهرم فيقول : ربِّ ! لقد جاء الإسلام وما أعقل شيئاً ، وأما الذي مات في الفترة فيقول : ربِّ ! ما أتاني لك رسول؛ فيأخذ مواثيقهم ليطيعنه، فيرسل إليهم أن ادخلوا النار! فمن دخلها كانت عليه برداً وسلاماً ، ومن لم يدخلها يُستجر إليها).

الحديث الثاني : أخرجه أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه في مسنديهما وابن مردويه في تفسيره والبيهقي في «الاعتقاد» عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : (أربعة يحتجون) ـ فذكر مثل حديث الأسود بن سريع ـ رضي الله عنه ـ .

الحديث الثالث : أخرجه البزار في مسنده عن أبي سعيد

---

(1) الآية ٣٧/ من سورة فاطر .

الخدري - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : (يؤتى بالهالك في الفترة والمعتوه والمولود، فيقول الهالك في الفترة : لم يأتني كتاب ولا رسول ، ويقول المعتوه : أي ربِّ! لم تجعل لي عقلاً أعقل به خيراً ولا شراً ، ويقول المولود : لم أدرك العمل ؛ قال : فيرفع لهم نار فيقال لها : ردوها - أو قال : ادخلوها - فيدخلها من كان في علم الله سعيداً لو أدرك العمل ، ويمسك عنها من كان في علم الله شقياً لو أدرك العمل ، فيقول تبارك وتعالى : إياي عصيتم وكيف برسلي بالغيب) في إسناده عطية العوفي [1] فيه ضعف ، والترمذي يحسن حديثه ؛ وهذا الحديث له شواهد تقتضي الحكم بحسنه وثبوته .

الحديث الرابع : أخرجه البزار وأبو يعلى في مسنديهما عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : (يوتى بأربعة يوم القيامة بالمولود والمعتوه ومن مات في الفترة وبالشيخ الفاني كلهم متكلم بحجته ، فيقول الله تبارك وتعالى لعنق من جهنم : ابرزي! فيقول لهم : إني كنت أبعث إلى عبادي رسلاً من أنفسهم وإني رسول نفسي إليكم، ادخلوا هذه ! فيقول من كتب عليه الشقاء : يا رب ! أتدخلناها وما كنا نعرف ! ومن كتب له السعادة فيمضي فيقتحم فيها مسرعاً ، فيقول الله : قد عصيتموني فأنتم لرسلي أشد تكذيباً ومعصية ! فيدخل هؤلاء الجنة وهؤلاء النار).

الحديث الخامس : أخرجه عبد الرزاق وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : (إذا كان يوم القيامة

---

(١) قال الحافظ بن حجر العسقلاني في تقريب التهذيب : عطية بن سعيد بن جنادة العوفي الجدلي ابو الحسن الكوفي صدوق يخطىء كثيراً كان شيعياً مدلساً من الثالثة مات سنة إحدى عشرة ومائة - الحسن النعماني (مصحح الدائرة سابقاً - رحمه الله) .

جمع الله أهل الفترة والمعتوه والأصم والأبكم والشيوخ الذين لم يدركوا الإسلام ثم أرسل إليهم رسولاً أن ادخلوا النار ! فيقولون : كيف ولم يأتنا رسل ! قال : وآيم الله ! لو دخلوها لكانت عليهم برداً وسلاماً ، ثم يرسل إليهم فيطيعه من كان يريد أن يطيعه) ؛ قال أبو هريرة : اقرأوا إن شئتم : ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً ﴾ . إسناده صحيح على شرط الشيخين، ومثله لا يقال من قبل الرأي فله حكم الرفع.

الحديث السادس : أخرجه البزار والحاكم في مستدركه عن ثوبان ـ رضي الله عنه ـ أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : (إذا كان يوم القيامة جاء أهل الجاهلية يحملون أوثانهم على ظهورهم فيسألهم ربهم، فيقولون : ربنا ! لم ترسل إلينا رسولاً ولم يأتنا لك أمر ، ولو أرسلت إلينا رسولاً لكنا أطوع عبادك، فيقول لهم ربهم : أرأيتكم إن أمرتكم بأمر تطيعوني ؟ فيقولون : نعم ! فيأمرهم أن يعمدوا إلى جهنم فيدخلوها ، فينطلقون حتى إذا دنوا منها وجدوا لها تغيظاً وزفيراً فرجعوا إلى ربهم فيقولون : ربنا ! أجرنا منها ! فيقول لهم : ألم تزعموا إن أمرتكم بأمر تطيعوني ! فيأخذ على ذلك مواثيقهم ، فيقول : اعمدوا إليها فادخلوا ! فينطلقون حتى إذا رأوها فرقوا ورجعوا ، فقالوا : ربنا ! فرقنا منها ولا نستطيع أن ندخلها داخرين ! فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : لو دخلوها أول مرة كانت عليهم برداً وسلاماً). قال الحاكم : صحيح على شرط البخاري ومسلم .

الحديث السابع : أخرجه الطبراني وأبو نعيم عن معاذ بن جبل ـ رضي الله عنه ـ عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : (يؤتى يوم القيامة بالممسوح عقلاً وبالهالك في الفترة وبالهالك صغيراً، فيقول

الممسوح عقلاً : يا رب ! لو آتيتني عقلاً ما كان من آتيته عقلاً بأسعد لعقله مني - وذكر في الهالك في الفترة والصغير نحو ذلك ، فيقول الرب : إني آمركم بأمر فتطيعوني ؟ فيقولون : نعم ! فيقول : اذهبوا فادخلوا النار ! قال : ولو دخلوها ما ضرتهم ، فتخرج عليهم فرائص ، فيظنون أنها قد أهلكت ما خلق الله من شيء ، فيرجعون سراعاً ، ثم يأمرهم الثانية فيرجعون كذلك، فيقول الرب : قبل أن أخلقكم علمت ما أنتم عاملون وعلى علمي تصيرون ، ضميهم ! فتأخذهم).

قال الكيا الهراسي[1] في تعليقه في الأصول في مسألة شكر المنعم : اعلم! أن الذي استقر عليه آراء أهل السنة قاطبة أنه لا مدرك للأحكام سوى الشرع المنقول، ولا يتلقى من قضيات العقول . فأما من عدا أهل الحق من طبقات الخلق كالرافضة والكرامية والمعتزلة وغيرهم فإنهم ذهبوا إلى أن الأحكام منقسمة ، فمنها ما يتلقى من الشرع المنقول ، ومنها ما يتلقى من قضيات العقول . قال : وأما نحن فنقول : لا يجب شيء قبل مجيء الرسول فإذا ظهر وأقام المعجزة يمكن العاقل من النظر ؛ فنقول : لا يعلم أول الواجبات إلا بالسمع ، فإذا جاء الرسول وجب عليه النظر . وعند هذا يسأل المستطرفون فيقولون : ما الواجب الذي هو طاعة وليس بقربة؟ وجوابه : أن النظر الذي هو أول الواجبات طاعة وليس بقربة لأنه ينظر للمعرفة فهو مطيع وليس بمتقرب لأنه إنما يتقرب إلى من يعرفه.

قال : وذكر شيخنا الإمام في هذا المقام شيئاً حسناً فقال : قبل مجيء الرسول يتعارض الخواطر والطرق إذ ما من خاطر يعرض له إلا

---

(١) هو علي بن محمد الطبري الشافعي المتوفى سنة أربع وخمس مائة ، كذا في كشف الظنون - الحسن النعماني أحسن الله إليه .

ويمكن أن يقدر أن يخطر خاطر آخر على نقيضه فتتعارض الخواطر ويقع العقل في حيرة ودهشة فيجب التوقف إلى أن تنكشف الغمة وليس ذلك إلا لمجيء الرسول . وها هنا قال الأستاذ أبو إسحاق : إن قول «لا أدري» نصف العلم، ومعناه أنه انتهى علمي إلى حد وقف عنده مجاوزة العقل ، وهذا إنما يقوله من وقف في العلم وعرف مجاري العقل مما لا يجري فيه، ووقف عنده ـ انتهى .

وقال الإمام فخر الدين الرازي في «المحصول» : شكر المنعم لا يجب عقلاً خلافاً للمعتزلة ، لنا : أنه لو تحقق الوجوب قبل البعثة لعذب تاركه ولا تعذيب قبل البعث فلا وجوب، أما الملازمة فبينة ، وأما أنه لا تعذيب فلقوله سبحانه وتعالى : ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً ﴾ بقي التعذيب إلى غاية البعثة فينبغي وإلا وقع الخلف في قول الله وهو محال ـ انتهى .

وذكر أتباعه مثل ذلك كصاحب «الحاصل والتحصيل» والبيضاوي في منهاجه . وقال القاضي تاج الدين السبكي في «شرح مختصر ابن الحاجب» على مسألة شكر المنعم : فيخرج مسألة من لم تبلغه الدعوة فعندنا يموت ناجياً ولا يقاتل حتى يدعى إلى الإسلام ، وهو مضمون بالكفارة والدية ولا يجب القصاص على قاتله على الصحيح . وقال البغوي في «التهذيب»: أما من لم تبلغه الدعوة فلا يجوز قتله قبل أن يدعى إلى الإسلام فإن قتل قبل أن يدعى إلى الإسلام وجب في قتله الدية والكفارة . وعند أبي حنيفة رحمه الله لا يجب الضمان بقتله ، وأصله أنه عندهم محجوج عليه بعقله وعندنا هو غير محجوج عليه قبل بلوغ الدعوة إليه بقوله تعالى : ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً ﴾ فثبت أنه لا حجة عليه قبل مجيء الرسول ـ انتهى .

وقال الرافعي في الشرح : من لم تبلغه الدعوة لا يجوز قتله قبل الإعلام والدعاء إلى الإسلام ، ولو قتل كان مضموناً خلافاً لأبي حنيفة . وبنى الخلاف على أنه محجوج عليه بالعقل عنده ، وعندنا من لم تبلغه الدعوة لا تثبت عليه الحجة ولا يتوجب المؤاخذة ، قال تعالى : ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً ﴾ . انتهى .

وقال الغزالي في « البسيط »[1] : من لم تبلغه الدعوة يضمن بالدية والكفارة لا بالقصاص على الصحيح لأنه ليس مسلماً على التحقيق وإنما هو في معنى المسلم . وقال ابن الرفعة في « الكفاية » : لأنه مولود على الفطرة ولم يظهر منه عناد .

وقال النووي[2] في « شرح مسلم » في مسألة أطفال المشركين : المذهب الصحيح المختار الذي صار إليه المحققون أنهم في الجنة لقوله تعالى : ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً ﴾ قال : وإذا كان لا يعذب البالغ لكونه لم تبلغه الدعوة فغيره أولى ـ انتهى .

فإن قلت : هذا المسلك الذي قدرته هل هو عام في أهل الجاهلية كلهم ؟ قلت : لا ، بل هو خاص بمن لم تبلغه دعوة نبي أصلاً ، أما من بلغته منهم دعوة أحد من الأنبياء السابقين ثم أصر على كفره فهو في النار قطعاً ؛ وهذا لا نزاع فيه . وأما الأبوان الشريفان فالظاهر من حالهما ما ذهبت إليه هذه الطائفة من عدم بلوغهما دعوة أحد ، وذلك لمجموع أمور : تأخر زمانهما وبعد ما بينهما وبين الأنبياء السابقين ، فإن آخر الأنبياء

---

(١) البسيط في الفروع للإمام حجة الإسلام أبي حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي الشافعي ، المتوفى سنة خمس وخمس مائة ـ القاضي محمد شريف الدين .

(٢) وهو الإمام الحافظ أبو زكريا يحيى بن شرف الدين النووي الشافعي ، المتوفى سنة ست وسبعين وست مائة .

قبل بعثة نبينا صلى الله عليه وآله وسلم عيسى عليه السلام ، وكانت الفترة بينه وبين بعثة نبينا نحو ست مائة سنة ، ثم إنهما كانا في زمن جاهلية وقد طبق الجهل الأرض شرقاً وغرباً ، وفقد من يعرف الشرائع ويبلغ الدعوة على وجهها إلا نفر يسير من أحبار أهل الكتاب ، مزقت في أقطار الأرض كالشام وغيرها ؛ ولم يعهد تقلب لهما في الأسفار سوى المدينة ، ولا عَمَّرَا عمراً طويلاً بحيث يقع لهما فيه التنقيب والتفتيش، فإن والد النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يعش من العمر إلا قليلاً .

قال الإمام الحافظ صلاح الدين العلائي[1] في كتابه « الدرة السنية في مولد خير البرية »: كانت سن عبد الله حين حملت منه آمنة برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نحو ثمانية عشر عاماً ، ثم ذهب إلى المدينة ليمتار منها تمراً لأهله فمات بها عند أخواله من بني النجار والنبي ﷺ حمل على الصحيح - انتهى . وأمه قريبة من ذلك لا سيما وهي امرأة مصونة محجبة في البيت عن الاجتماع بالرجال ، والغالب على النساء أنهن لا يعرفن ما الرجال فيه من أمر الديانات والشرائع خصوصاً في زمان الجاهلية الذي رجاله لا يعرفون ذلك فضلاً عن نسائه .

ولهذا لما بعث النبي صلى الله عليه وآله وسلم تعجب من بعثته أهل مكة وقالوا : ﴿ أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَراً رَسُولاً ﴾ وقالوا : ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلْئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الأَوَّلِينَ ﴾[2] . فلو كان عندهم علم من بعثة الرسل ما أنكروا ذلك ، وربما كانوا يظنون أن إبراهيم بعث بما هم عليه فإنهم لم يجدوا من يبلغهم شريعة إبراهيم على وجهها لدثورها وفقد

(١) هو الحافظ صلاح الدين خليل بن كيكلدي العلائي - القاضي محمد شريف الدين البالمي عفي عنه .

(٢) الآية ٢٤ / من سورة المؤمنون.

من يعرفها إذ كان بينهم وبين زمن إبراهيم عليه السلام أزيد من ثلاثة آلاف سنة ، فاتضح بذلك صحة دخولهما في هذا المسلك.

ثم رأيت الشيخ عز الدين بن عبد السلام[1] قال في أماليه ما نصه : كل نبي إنما أرسل إلى قومه إلا نبينا صلى الله عليه وآله وسلم ، قال : فعلى هذا يكون ما عدا قوم كل نبي من أهل الفترة إلا ذرية النبي السابق فإنهم مخاطبون ببعثة السابق إلا أن تدرس شريعة السابق فيصير الكل من أهل الفترة ـ هذا كلامه . فبان بذلك أن الوالدين الشريفين من أهل الفترة بلا شك لأنهما ليسا من ذرية عيسى ولا من قومه.

ثم ترشح مما قال حافظ العصر أبو الفضل أحمد بن حجر : إن الظن بهما أن يطيعا عند الامتحان ، أمران :

أحدهما : ما أخرجه الحاكم في « المستدرك » وصححه عن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: (قال شاب من الأنصار : ـ لم أر رجلاً كان أكثر سؤالاً لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم منه ـ : يا رسول الله ! أرأيت أبواك في النار ؟ فقال : ما سألت ربي فيعطيني فيهما وإني لقائم يومئذٍ المقام المحمود). فهذا الحديث يشعر بأنه مرتجٍ لهما الخير عند قيامه المقام المحمود ، وذلك بأن يشفع لهما فيوفقا للطاعة إذا امتحنا حينئذٍ كما يُمتحن أهل الفترة ؛ ولا شك في أنه يقال عند قيامه ذلك المقام : سلْ تُعْطَ واشفع تُشْفَع ! كما في الأحاديث الصحيحة ، فإذا سأل ذلك أعطيه.

---

(١) هو عبد العزيز بن عبد السلام الشافعي ، المتوفى سنة ستين وست مائة ـ كذا في كشف الظنون في ذكر « إمام في أدلة الأحكام » ولم يذكر له الأمالي ، فلعل ما في المتن تصحيف ؛ والله أعلم ـ الحسن النعماني أحسن الله إليه .

الأمر الثاني : ما أخرجه ابن جرير في تفسيره عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ في قوله تعالى : ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى ﴾[1] قال : من رضىٰ محمد صلى الله عليه وآله وسلم أن لا يدخل أحد من أهل بيته النار . ولهذا عمم[2] الحافظ ابن حجر في قوله : الظن بأهل بيته كلهم أن يطيعوا عند الامتحان .

وحديث ثالث : أخرجه أبو سعيد في «شرف النبوة»[3] والملا في سيرته عن عمران بن حصين ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : (سألت ربي أن لا يدخل النار أحداً من أهل بيتي ، فأعطاني ذلك) . أورده الحافظ محب الدين الطبري في كتابه « ذخائر العقبى »[4] .

وحديث رابع أصرح من هذين : أخرجه تمام الرازي في فوائده بسند ضعيف عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : (إذا كان يوم القيامة شفعت لأبي وأمي وعمي أبي طالب وأخ لي كان في الجاهلية) . أورده المحب الطبري وهو من الحفاظ والفقهاء في كتابه « ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى » وقال : إن ثبت فهو مُؤَوّل في أبي طالب على ما ورد في الصحيح من تخفيف العذاب عنه بشفاعته ـ انتهى ، وإنما احتاج إلى تأويله في أبي طالب دون الثلاثة أبيه

---

(١) الآية ٥/ من سورة الضحى .

(٢) من المطبوع بالطبعة الأولى ، وكان في المطبوع بالطبعة الثانية : عم .

(٣) قال في كشف الظنون : شرف النبوة من كتب الأحاديث لأبي سعيد عبد الملك بن أبي عثمان محمد الواعظ الخركوشي المار ذكره في فضائل العشرة ـ انتهى ، القاضي محمد شريف الدين البالمي عفي عنه .

(٤) ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى مجلد لمحب الدين أحمد بن عبد الله الطبري المتوفى سنة أربع وتسعين وست مائة ـ محمد شريف الدين .

وأمه وأخيه يعني من الرضاعة لأن أبا طالب أدرك البعثة ولم يسلم والثلاثة ماتوا في الفترة.

وقد ورد هذا الحديث من طريق آخر أضعف من هذا الطريق من حديث ابن عباس - رضيَ الله عنهما - أخرجه أبو نعيم وغيره ، وفيه التصريح بأن الأخ من الرضاعة ؛ فالطرق عدة يشد بعضها بعضاً فإن الحديث الضعيف يتقوى بكثرة طرقه وأمثلها حديث ابن مسعود - رضي الله عنه - فإن الحاكم صححه.

ومما ينضم إلى ذلك - وإن لم يكن صريحاً في المقصود - ما أخرجه الديلمي عن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال : قال رسول الله ﷺ : (أول من أشفع له يوم القيامة أهل بيتي ثم الأقرب فالأقرب)، وما أورده المحب الطبري في « ذخائر العقبى » وعزاه لأحمد في المناقب عن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم: (يا معشر بني هاشم! والذي بعثني بالحق نبياً ! لو أخذت بحلقة الجنة ما بدأت إلا بكم) .

وما أورده أيضاً وعزاه لابن جرير عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : ما بال أقوام يزعمون أن رحمي لا ينفع بسل حتى يبلغ الحكم[1] - وهم إحدى قبيلتين من اليمن - إني لأشفع فأشفع حتى أن من أشفع له ليشفع فيشفع حتى أن إبليس ليتطاول طمعاً في الشفاعة.

---

(١) الحكم محركة : الرجل المسن ومخلاف باليمن - قاموس ، وفي النهاية : (وفيه) شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي حتى حكم وجاءهما قبيلتان جافيتان من وراء رمل يبرين .

لطيفـــة

نقل الزركشي في « الخادم »[1] : عن ابن دحية أنه جعل من أنواع الشفاعات التخفيف عن أبي لهب في كـل يوم إثنين لسروره بولادة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وإعتاقه ثـويبة حين بشًّـر به ، قـال : وإنما هي كرامة له ﷺ .

تنبيـــه

ثم رأيت الإمام أبا عبد الله محمد بن خلف الأبي بسَّطَ الكلام على هـذه المسألـة في « شرح مسلم » عنـد حديث « إن أبي وأبـاك في النار » وأورد قـول النووي فيـه : إن من مات كـافـراً في النـار ولا تنفعـه قـرابـة الأقربين ، ثم قال : قلت : انظر هذا الإطلاق وقد قال السهيلي : ليس لنا أن نقول ذلك فقد قال صلى الله عليه وآله وسلم : لا تؤذوا الأحيـاء بسبّ الأمـوات ، وقال الله تعـالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾[2] ولعله يصح ما جاء أنه صلى الله عليه وآله وسلم سأل الله سبحانه فأحيا له أبويه فآمنا ، ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فوق هذا ولا يعجز الله سبحانه شيء .

ثم أورد قول النووي وفيه : أن من مات في الفترة على ما كانت عليه العرب من عبادة الأوثان في النار ، وليس هذا من التعذيب قبل بلوغ الدعوة لأنه بلغتهم دعوة إبراهيم وغيرهم من الرسل ؛ ثم قال : قلت : تأمل ما في

---

(١) خادم الرافعي والروضة في الفروع في أربعة عشر مجلداً لبدر الـدين محمد بن بهـادر الـزركشي الشافعي المتـوفى سنة تسع وأربعين وسبع مـائة ، كمـا ذكر صـاحب كشف الظنون ـ محمد شريف الدين البالمي عفي عنه .

(٢) الآية ٥٧ / من سورة الأحزاب .

كلامه من التنافي ! فإن بلغتهم الدعوة ليسوا بأهل الفترة[1] ، فإن أهل الفترة هم الأمم الكائنة بين أزمنة الرسل الذين لم يرسل إليهم الأول ولا أدركوا الثاني ، كالأعراب الذين لم يرسل إليهم عيسى ولا لحقوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، والفترة بهذا التفسير تشمل ما بين كل رسولين ولكن الفقهاء إذا تكلموا في الفترة فإنما يعنون التي بين عيسى والنبي صلى الله عليه وآله وسلم.

ولما دلت القواطع على أنه لا تعذيب حتى تقوم الحجة ، علمنا أنهم غير معذبين ؛ فإن قلت : صحت أحاديث بتعذيب أهل الفترة كصاحب المحجن وغيره ، قلت : أجاب عن ذلك عقيل بن أبي طالب بثلاثة أجوبة : الأول : إنها أخبار آحاد فلا تعارض القاطع ، الثاني : قصر التعذيب على هؤلاء ـ والله أعلم بالسبب ، الثالث : قصر التعذيب في هذه الأحاديث على من بدل وغيَّر الشرائع وشرَّع من الضلال ما لا يعذر به ، فإن أهل الفترة ثلاثة أقسام :

القسم الأول: من أدرك التوحيد ببصيرته ، ثم من هؤلاء من لم يدخل في شريعة كقس بن ساعدة وزيد بن عمرو بن نفيل ، ومنهم من دخل في شريعة قائمة حقة للرسل كتبّع وقومه.

القسم الثاني : من بدَّل وغيَّر وأشرك ولم يوحد ، وشرع لنفسه فحلل وحرَّم ، وهم الأكثر كعمرو بن لحي أول من سن للعرب عبادة الأوثان وشرع الأحكام فبحر البحيرة وسيب السائبة ووصل الوصيلة وحمى الحامي ؛ وزادت طائفة من العرب على ما شرعه أن عبدوا الجن والملائكة

---

(١) كذا في المنقول عنه والمعنى مخبوط ، والظاهر أن يكون هكذا : فإنه إن بلغتهم الدعوة فليسوا بأهل الفترة ـ الحسن النعماني .

وخرقوا البنين والبنات واتخذوا بيوتاً جعلوا لها سدنة[1] وحجاباً يضاهون الكعبة كاللات والعزى ومناة.

القسم الثالث : من لم يشرك ولم يوحد ولا دخل في شريعة نبي ولا ابتكر لنفسه شريعة ولا اخترع ديناً بل بقي عمره على حال غفلة عن هذا كله ، وفي الجاهلية من كان كذلك : فإذا انقسم أهل الفترة إلى ثلاثة أقسام فيحمل من صح تعذيبه على أهل القسم الثاني لكفرهم بما لا يعذرون به، وأما القسم الثالث فهم أهل الفترة حقيقة، وهم غير معذبين للقطع كما تقدم ، وأما القسم الأول فقد قال صلى الله عليه وآله وسلم في كل من قس وزيد : إنه يبعث أمة واحدة، وأما تبع ونحوه فحكمهم حكم أهل الدين الذين دخلوا فيه ما لم يلحق أحد منهم الإسلام الناسخ لكل دين ـ انتهى ما أورده الأبي .

المسلك الثاني

إنهما لم يثبت عنهما شرك بل كانا على الحنيفية دين جدهما إبراهيم على نبينا وعليه الصلاة والسلام كما كان على ذلك طائفة من العرب كزيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل وغيرهما ، وهذا المسلك ذهبت إليه طائفة ، منهم : الإمام فخر الدين الرازي فقال في كتابه « أسرار التنزيل » ما نصه : قيل إن آزر لم يكن والد إبراهيم بل كان عمه ، واحتجوا عليه بوجوه ، منها : أن آباء الأنبياء ما كانوا كفاراً ، ويدل عليه وجوه ، منها : قوله تعالى : ﴿ الَّذِي يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ * وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ ﴾[2]،

(١) سدن سدناً وسدانة : خدم الكعبة أو بيت الصنم وعمل الحجابة فهو سادن ، كذا في القاموس ـ الحسن النعماني أنعم الله عليه بحسن الخاتمة .

(٢) الآيتان ٢١٨ و٢١٩/ من سورة الشعراء .

قيل : معناه أنه كان ينقل نوره من ساجد إلى ساجد.

وبهذا التقدير الآية دالة على أن جميع آباء محمد صلى الله عليه وآله وسلم كانوا مسلمين ، وحينئذٍ يجب القطع بأن والد إبراهيم ما كان من الكافرين إنما ذاك عمه.

أقصى ما في الباب : أن يحمل قوله تعالى : ﴿ وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾ على وجوه أخر ، وإذا وردت الروايات بالكل ولا منافاة بينها وجب حمل الآية على الكل ؛ ومتى صح ذلك ثبت أن والد إبراهيم ما كان من عبدة الأوثان.

ثم قال : ومما يدل على أن آباء محمد صلى الله عليه وآله وسلم ما كانوا مشركين قوله عليه السلام : لم أزل أنقل من أصلاب الطاهرين إلى أرحام الطاهرات ، وقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ ﴾[1] فوجب أن لا يكون أحد من أجداده مشركاً.

هذا كلام الإمام فخر الدين الرازي بحروفه ، وناهيك به إمامة وجلالة ! فإنه إمام أهل السنة في زمانه ، والقائم بالرد على الفرق المبتدعة في وقته ، والناصر لمذهب الأشاعرة في عصره ؛ وهو العالم المبعوث على رأس المائة السادسة ليجدد لهذه الأمة أمر دينها.

وعندي في نصرة هذا المسلك وما ذهب إليه الإمام فخر الدين أمور ، أحدها : دليل أستنبطه مركب من مقدمتين ؛ الأولى : أن الأحاديث الصحيحة دلت على أن كل أصل من أصول النبي صلى الله عليه وآله وسلم من آدم إلى أبيه عبد الله فهو خير أهل قرنه وأفضلهم ، ولا أحد في

---

(١) الآية ٢٨ / من سورة التوبة .

قرنه ذلك خير منه ولا أفضل ؛ الثانية : إنَّ الأحاديث والآثار دَلَّتْ على أنه لم تخلُ الأرض من عهد نوح أو آدم إلى بعثة النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى أن تقوم الساعة من ناس على الفطرة يعبدون الله ويوحدونه ويصلون له ، وبهم تحفظ الأرض ، ولولاهم لهلكت الأرض ومن عليها.

وإذا قرنت بين هاتين المقدمتين أنتج منها قطعاً بأن آباء النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يكن فيهم مشرك ، لأنه قد ثبت في كل منهم أنه خير قرنه ؛ فإن كان الناس الذين على الفطرة هم آباءهم فهو المدعى ، وإن كان غيرهم وهم على الشرك لزم أحد الأمرين : إما أن يكون المشرك خيراً من المسلم وهو باطل بالإجماع ، وإما أن يكون غيرهم خيراً منهم وهو باطل لمخالفته الأحاديث الصحيحة ؛ فوجب قطعاً أن لا يكون فيهم مشرك ليكونوا خير أهل الأرض في كل قرنه.

ذكر أدلة المقدمة الأولى

أخرج البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : (بعثت من خير قرون بني آدم قرناً فقرناً حتى بعثت من القرن الذي كنت فيه).

وأخرج البيهقي في « دلائل النبوة » عن أنس - رضي الله عنه - أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : (ما افترق الناس فرقتين إلا جعلني الله في خيرهما فأخرجت من بين أبويَّ فلم يصبني شيء من عهد الجاهلية ، وخرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح من لدن آدم حتى انتهيت إلى أبي وأمي : فأنا خيركم نَفْساً وخيركم أباً).

وأخرج أبو نعيم في « دلائل النبوة » من طرق عن ابن عباس رضي

الله عنهما قال : قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : (لم يزل الله ينقلني من الأصلاب الطيبة إلى الأرحام الطاهرة مصفى مهذباً لا تنشعب شعبتان إلا كنت في خيرهما).

وأخرج مسلم والترمذي وصححه عن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : (إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسمعيل واصطفى من ولد إسمعيل بني كنانة واصطفى من بني كنانة قريشاً واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم).

وقد أخرجه الحافظ أبو القاسم حمزة بن يوسف السهمي في فضائل العباس من حديث واثلة بلفظ : (إن الله اصطفى من ولد آدم إبراهيم واتخذه خليلاً واصطفى من ولد إبراهيم إسمعيل ثم اصطفى من ولد إسمعيل نزاراً ثم اصطفى من ولد نزار مضر ثم اصطفى من مضر كنانة ثم اصطفى من كنانة قريشاً ثم اصطفى من قريش بني هاشم ثم اصطفى من بني هاشم بني عبد المطلب ثم اصطفاني من بني عبد المطلب) - أورده المحب الطبري في « ذخائر العقبى ».

وأخرج ابن سعد في طبقاته عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : (خير العرب مضر وخير مضر بنو عبد مناف وخير بني عبد مناف بنو هاشم وخير بني هاشم بنو عبد المطلب ، والله! ما افترق فرقتان منذ خلق الله آدم إلا كنت في خيرهما).

وأخرج الطبراني والبيهقي وأبو نعيم عن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : (إن الله خلق الخلق فاختار من الخلق بني آدم واختار من بني آدم العرب. واختار من

العرب مضر واختار من مضر قريشاً واختار من قريش بني هاشم واختارني من بني هاشم ، فأنا من خيار إلى خيار).

وأخرج الترمذي وحسَّنه والبيهقي عن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : (إن الله حين خلقني جعلني من خير خلقه ، ثم حين خلق القبائل جعلني من خيرهم قبيلة ، وحين خلق الأنفس جعلني من خير أنفسهم ، ثم حين خلق البيوت جعلني من خير بيوتهم ؛ فأنا خيرهم بيتاً وخيرهم نفساً) .

وأخرج الطبراني والبيهقي وأبو نعيم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : (إن الله قسم الخلق قسمين فجعلني في خيرهما قسماً ، ثم جعل القسمين أثلاثاً فجعلني في خيرها ثلثاً ، ثم جعل الأثلاث قبائل فجعلني في خيرها قبيلة ، ثم جعل القبائل بيوتاً فجعلني في خيرها بيتاً) .

وأخرج أبو علي بن شاذان فيما أورده المحب الطبري في «ذخائر العقبى» وهو في مسند البزار عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال : (دخل ناس من قريش على صفية بنت عبد المطلب فجعلوا يتفاخرون ويذكرون الجاهلية ، فقالت صفية : منا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فقالوا : تنبت النخلة ـ أو الشجرة ـ في الأرض اللياء ؛ فذكرت ذلك صفية لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فغضب وأمر بلالاً فنادى في الناس ، فقام على المنبر فقال : أيها الناس ! من أنا ؟ قالوا : أنت رسول الله ، قال : انسبوني ! قالوا : محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ، قال : فما بال أقوام ينزلون أصْلِي ! فوالله ! إني لأفضلهم أصلاً وخيرهم موضعاً) .

وأخرج الحاكم عن ربيعة بن الحارث[1] قال : (بلغ النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن قوماً نالوا منه فقالوا : إنما مثل محمد كمثل نخلة تنبت في اللياء ، فغضب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال : إن الله خلق خلقه فجعلهم فرقتين فجعلني في خير الفرقتين ، ثم جعلهم قبائل فجعلني في خيرهم قبيلاً ، ثم جعلهم بيوتاً فجعلني في خيرهم بيوتاً ؛ ثم قال : أنا خيركم قبيلاً وخيركم بيتاً .

وأخرج الطبراني في « الأوسط » والبيهقي في « الدلائل » عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : (قال لي جبريل : قلبت الأرض مشارقها ومغاربها فلم أجد رجلاً أفضل من محمد ـ ﷺ ، ولم أجد بني أبٍ أفضل من بني هاشم) .

قال الحافظ ابن حجر في أماليه : لوائح الصحة ظاهرة على صفحات هذا المتن ، ومن المعلوم أن الخيرية والاصطفاء والاختيار من الله والأفضلية عنده لا يكون مع الشرك .

ذكر أدلة المقدمة الثانية

قال عبد الرزاق في « المصنف » عن معمر عن ابن جريج قال وقال ابن المسيب قال علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ : لم يزل على وجه الدهر في الأرض سبعةُ مسلمون فصاعداً ، فلولا ذلك هلكت الأرض ومن عليها . هذا إسناد صحيح على شرط الشيخين ، ومثله لا يقال من قبل

(١) في تجريد أسد الغابة في أسماء الصحابة رضي الله عنهم : ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب الهاشمي ، كان أسن من عمه العباس بسنتين، وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : نعم العبد ربيعة لو قصر من شعره وشمر ثوبه ! وتوفي سنة ثلاث وعشرين رضي الله عنه وعنا ، آمين ـ الحسن النعماني .

الرأي فله حكم الرفع ؛ وقد أخرجه ابن المنذر في تفسيره عن الدبري[1] عن عبد الرزاق به.

وأخرج ابن جرير في تفسيره عن شهر بن حوشب قال : لم يبق الأرض إلا وفيها أربعة عشر يدفع الله بهم عن أهل الأرض ويخرج بركتها إلا زمن إبراهيم فإنه كان وحده.

وأخرج ابن المنذر في تفسيره عن قتادة في قوله تعالى : ﴿ قُلْنَا ٱهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعاً فإمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ ﴾[2] الآية، قال : ما زال لله في الأرض أولياء منذ هبط آدم ما أخلى الله الأرض لإبليس إلا وفيها أولياؤه يعملون لله بطاعته.

وقال الحافظ أبو عمر بن عبد البر : روى ابن القاسم عن مالك قال بلغني عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أنه قال : لا يزال لله في الأرض ولي ما دام فيها للشيطان ولي.

وأخرج الإمام أحمد بن حنبل في « الزهد » والخلال في كتاب « كرامات الأولياء » بسند صحيح على شرط الشيخين عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : ما خلت الأرض من بعد نوح من سبعة يدفع الله تعالى بهم عن أهل الأرض ؛ هذا أيضاً له حكم الرفع.

وأخرج الأزرقي[3] في « تاريخ مكة » عن زهير بن محمد[4] قال :

---

(١) هو إسحاق بن إبراهيم الدبري ، يروى عن عبد الرزاق بن همام ، كما في تهذيب التهذيب - الحسن النعماني .

(٢) الآية ٣٨/ من سورة البقرة .

(٣) هو الإمام أبو الوليد محمد بن عبد الكريم الأزرقي المتوفى سنة ثلاث وعشرين ومائتين - كذا في كشف الظنون .

(٤) ذكره صاحب التجريد في زهير الثقفي مختصراً - الحسن النعماني .

لم يزل على وجه الأرض سبعةٌ مسلمون فصاعداً ، لولا ذلك لأهلكت الأرض ومن عليها.

وأخرج الجندي في « فضائل مكة » عن مجاهد قال : لم يزل على الأرض سبعةٌ مسلمون فصاعداً ، لولا ذلك لهلكت الأرض ومن عليها .

وأخرج الإمام أحمد في « الزهد » عن كعب ـ رضي الله عنه ـ قال : لم يزل بعد نوح في الأرض أربعة عشر يدفع بهم العذاب.

وأخرج الخلال في كتاب « كرامات الأولياء » عن زاذان قال : ما خلت الأرض بعد نوح من اثني عشر فصاعداً يدفع الله بهم عن أهل الأرض.

وأخرج ابن المنذر في تفسيره بسند صحيح عن ابن جريج في قوله : ﴿ رَبِّ ٱجْعَلْنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي ﴾[1]، قال : فلا يزال من ذرية إبراهيم على نبينا وعليه الصلاة والسلام ناس على الفطرة يعبدون الله . وإنما وقع التقييد في هذه الآثار الثلاثة بقوله : من بعد نوح ، لأنه من قبل نوح كان الناس كلهم على الهدى.

أخرج البزار في مسنده وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم في تفاسيرهم والحاكم في « المستدرك » وصححه عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى : ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴾[2] قال : كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على شريعة من الحق فاختلفوا فبعث الله النبيين ، قال : وكذلك هي في قراءة عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَٱخْتَلَفُوا ﴾.

---

(١) الآية ٤٠ / من سورة إبراهيم . (٢) الآية ٢١٣ / من سورة البقرة .

وأخرج أبو يعلى والطبراني وابن أبي حاتم بسند صحيح عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴾، قال : على الإسلام كلهم .

وأخرج ابن أبي حاتم عن قتادة في الآية قال : ذكر لنا أنه كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الهدى وعلى شريعة من الحق ثم اختلفوا بعد ذلك فبعث الله نوحاً وكان أول رسول أرسله الله إلى أهل الأرض.

وأخرج ابن سعد[1] في « الطبقات » من وجه آخر عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : ما بين نوح إلى آدم من الآباء كانوا على الإسلام .

وأخرج ابن سعد من طريق سفيان بن سعيد الثوري عن أبيه عن عكرمة قال : بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الإسلام .

وفي التنزيل حكاية عن نوح على نبينا وعليه الصلاة والسلام : ﴿ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِناً ﴾[2]، وولد نوح سام مؤمن بالإجماع والنص لأنه نجا مع أبيه في السفينة ولم ينج فيها إلا مؤمن ، وفي التنزيل : ﴿ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ ﴾ [3] ، بل ورد في أثر : أنه كان نبياً ، أخرجه ابن سعد في « الطبقات » والزبير بن بكار في « الموفقيات »[4] . وابن عساكر في « تاريخه » عن الكلبي ؛ وولده

---

(١) هو أبو عبد الله محمد بن سعد الزهري البصري ، صاحب طبقات الصحابة والتابعين ، كاتب الواقدي ، المتوفى سنة ثلاثين ومائتين ، انتهى ما في كشف الظنون ملخصاً ـ القاضي محمد شريف الدين .

(٢) الآية ٢٨/ من سورة نوح .

(٣) الآية ٧٧/ من سورة الصافات .

(٤) وفي كشف الظنون : موفقيات في الحديث للزبير بن بكار الأسدي المتوفى سنة ست وخمسين ومائتين رحمه الله تعالى ـ الحسن النعماني .

أرفخشد صرح بإيمانه في أثر عن ابن عباس أخرجه ابن عبد الحكم في «تاريخ مصر»، وفيه: أنه أدرك جده نوحاً وأنه دعا له أن يجعل الله الملك والنبوة في ولده؛ ومن ولد أرفخشد إلى تارخ ورد التصريح بإيمانهم في أثر.

أخرج ابن سعد في «الطبقات» من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس - رضي الله عنهما -: أن نوحاً على نبينا وعليه الصلاة والسلام لما هبط من السفينة هبط إلى قرية[1] فبنى كل رجل منهم بيتاً فسميت «سوق الثمانين»، فغرق بنو قابيل كلهم، وما بين نوح إلى آدم من الآباء كانوا على الإسلام، فلما ضاقت بهم سوق الثمانين تحولوا إلى بابل فبنوها فكثروا بها حتى بلغوا مائة ألف وهم على الإسلام ولم يزالوا على الإسلام وهم ببابل حتى ملكهم نمرود بن كوس بن كنعان بن حام[2] ابن نوح فدعاهم نمرود إلى عبادة الأوثان ففعلوا.

هذا لفظ الأثر، فعرف من مجموع هذه الآثار أن أجداد النبي صلى الله عليه وآله وسلم كانوا مؤمنين بيقين من آدم إلى زمن نمرود، وفي زمنه كان إبراهيم عليه السلام وآزر، فإن كان آزر والد إبراهيم فيستثنى من سلسلة النسب، وإن كان عمه فلا استثناء في هذا القول أعني أن آزر ليس أبا إبراهيم كما ورد عن جماعة من السلف.

أخرج ابن أبي حاتم بسند ضعيف عن ابن عباس - رضي الله عنهما - في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ﴾، قال: إن أبا

---

(١) لعل لفظ «وكان معه ثمانون رجلاً» سقط من العبارة - المصحح.

(٢) كذا في المنقول عنه، وفي القاموس في «كنع»: كنعان بن سام بن نوح عليه السلام؛ ولعل ما في القاموس هو الصحيح - الحسن النعماني.

إبراهيم لم يكن اسمه آزر وإنما كان اسمه تارخ.

وأخرج ابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم من طرق بعضها صحيح عن مجاهد قال: ليس آزر أبا إبراهيم.

وأخرج ابن المنذر بسند صحيح عن ابن جريج في قوله تعالى: ﴿ وإذْ قَالَ إبْرَاهِيمَ لأبِيهِ آزَرَ ﴾، قال: ليس آزر بأبيه إنما هو إبراهيم بن تيرخ ـ أو تارخ ـ بن شارخ بن ناخور بن فاطم.

وأخرج ابن أبي حاتم بسند صحيح عن السدي[1] أنه قيل له: اسم أبي إبراهيم آزر، فقال: بل اسمه تارخ؛ وقد وجه من حيث اللغة بأن العرب كانوا يطلقون لفظ الأب على العم إطلاقاً شائعاً وإن كان مجازاً.

وفي التنزيل: ﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلٰهَكَ وَإِلٰهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وإِسْمٰعِيلَ وَإِسْحٰقَ ﴾[2] فأطلق على إسماعيل لفظ الأب وهو عم يعقوب كما أطلق على إبراهيم وهو جده.

أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه كان يقول: الجد أب ويتلو: ﴿ قَالُوا نَعْبُدُ إِلٰهَكَ وإِلٰهَ آبَائِكَ ﴾.

وأخرج عن أبي العالية في قوله تعالى: ﴿ وَإِلٰهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وإِسْمٰعِيلَ ﴾ قال: سمى العم أباً.

---

(١) هو اسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة السدي ـ بضم المهملة وتشديد الدال ـ أبو محمد الكوفي صدوق يهم ورمي بالتشيع، من الرابعة، مات سنة سبع وعشرين ومائة ـ التقريب والتهذيب.

(٢) الآية ١٣٣/ من سورة البقرة.

وأخرج عن محمد بن كعب القرظي قال : الخال والد والعم والد ، وتلا هذه الآية . فهذه أقوال السلف من الصحابة والتابعين في ذلك .

ويرشحه ما أخرجه ابن المنذر في تفسيره بسند صحيح عن سليمان ابن صرد[١] قال : لما أرادوا أن يلقوا إبراهيم في النار جعلوا يجمعون الحطب حتى أن كانت العجوز لتجمع الحطب ، فلما أرادوا أن يلقوه في النار قال : حسبيَ الله ونعم الوكيل ، فلما ألقوه قال الله : ﴿ يَا نَارُ كُونِي بَرْداً وَسَلَاماً عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴾[٢] فقال عم إبراهيم : من أجلي دفع عنه ، فأرسل الله عليه شرارة من النار فوقعت على قدمه فأحرقته .

فقد صرح في هذا الأثر عم إبراهيم ، وفيه فائدة أخرى وهو أنه هلك في أيام إلقاء إبراهيم في النار ، وقد أخبر الله سبحانه في القرآن بأن إبراهيم ترك الاستغفار له لما تبين له أنه عدو الله ، ووردت الآثار بأن ذلك تبين له لما مات مشركاً وأنه لم يستغفر له بعد ذلك .

وأخرج ابن أبي حاتم بسند صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما . قال : ما زال إبراهيم عليه السلام يستغفر لأبيه حتى مات ، فلما تبين له أنه عدو لله فلم يستغفر له .

وأخرج عن محمد بن كعب وقتادة ومجاهد والحسن وغيرهم قالوا : كان يرجوه في حياته ، فلما مات على شركه تبرأ منه ، ثم هاجر إبراهيم عقيب واقعة النار إلى الشام كما نص الله على ذلك في القرآن ، ثم بعد مدة من مهاجره دخل مصر واتفق له فيها مع الجبار ما اتفق بسبب سارة

---

(١) سليمان بن صُرَد ـ بضم المهملة وفتح الراء ـ ابن الجون الخزاعي صحابي ، قتل بعين الوردة سنة خمس وتسعين رضي الله عنه ، كذا في التقريب ـ الحسن .

(٢) الآية ٦٩/ من سورة الأنبياء .

وأخدمه هاجر ، ثم رجع إلى الشام ، ثم أمره الله أن ينقلها وولدها إسماعيل إلى مكة فنقلهما ودعا فقال : ﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ ﴾[1] - إلى قوله : ﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ ٱلْحِسَابُ ﴾[2] فاستغفر لوالديه وذلك بعد هلاك عمه بمدة طويلة ؛ فيستنبط من هذا أن المذكور في القرآن بالكفر والتبرؤ من الاستغفار له هو عمه لا أبوه الحقيقي ، فللّه الحمد على ما ألهم .

روى ابن سعد في « الطبقات » عن الكلبي قال : هاجر إبراهيم من بابل إلى الشام وهو يومئذ ابن سبع وثلاثين ، فأتى حران فأقام بها زماناً ، ثم أتى إلى الأردن فأقام بها زماناً ، ثم خرج إلى مصر فأقام بها زماناً ، ثم رجع إلى الشام فنزل السبع أرضاً بين إيلياء وفلسطين ؛ ثم إن بعض أهل البلد آذوه فتحول من عندهم فنزل منزلاً بين الرملة وإيلياء .

وروى ابن سعد عن الواقدي[3] قال : ولد لإبراهيم إسماعيل وهو ابن تسعين سنة ؛ فعرف من هذين الأثرين أن بين هجرته من بابل عقيب واقعة النار وبين الدعوة التي دعا بها بمكة بضعاً وخمسين سنة .

تتميم

ثم استمر التوحيد في ولد إبراهيم وإسماعيل - عليهما السلام - قال الشهرستاني[4] في « الملل والنحل » : كان دين إبراهيم قائماً والتوحيد في

---

(١) الآية ٣٧/ من سورة إبراهيم .

(٢) الآية ٤١/ من سورة إبراهيم .

(٣) هو محمد بن عمر بن واقد الأسلمي الواقدي المدني القاضي نزيل بغداد ، متروك مع سعة علمه ، مات سنة سبع ومائتين وله ثمان وستون سنة رحمه الله تعالى - الحسن النعماني .

(٤) هو أبو الفتح الإمام محمد بن عبد الكريم الشهرستاني المتوفى سنة ثمان وأربعين وخمس =

صدر العرب شائعاً ، وأول من غيّره واتخذ عبادة الأصنام عمرو بن لحي ؛ قلت : وقد صح بذلك الحديث.

أخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : (رأيت عمرو بن لحي الخزاعي يجر قُصبه في النار ، كان أول من سيب السوائب).

وأخرج الإمام أحمد في مسنده عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : (إن أول من سيب السوائب وعبد الأصنام أبو خزاعة عمرو بن عامر ، وإني رأيته يجر أمعاءه في النار).

وأخرج ابن إسحاق وابن جرير في تفسيرهما عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : (رأيت عمرو بن لحي بن قمعة بن جندب يجر قصبة في النار ، إنه أول من غيّر دين إبراهيم . ولفظ ابن إسحاق : إنه كان أول من غيّر دين إسماعيل فنصب الأوثان وبحر البحيرة وسيب السائبة ووصل الوصيلة وحمى الحامي) . وله طرق أخرى.

وأخرج البزار في مسنده بسند صحيح عن أنس رضي الله عنه قال : كان الناس بعد إسماعيل عليه السلام على الإسلام وكان الشيطان يحدث الناس بالشيء يريد أن يردهم عن الإسلام حتى أدخل عليهم في التلبية : لبيك لبيك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك ، قال : فما زال حتى أخرجهم عن الإسلام إلى الشرك.

قال السهيلي في « الروض الأُنُف »[1] كان عمرو بن لحي حين غلبت

= مائة ، كذا قال في « كشف الظنون » والله أعلم ـ القاضي محمد شريف الدين البالمي عفي عنه .

(١) الروض الأُنُف في شرح غريب السير للشيخ الإمام أبي القاسم عبد الرحمن بن =

خزاعة على البيت ونفت جرهم عن مكة قد جعلته العرب رباً لا شرع لهم بدعة إلا أخذوها بسرعة لأنه كان يطعم الطعام ويكسو في الموسم .

وقد ذكر ابن إسحاق : إنه أول من أدخل الأصنام الحرم وحمل الناس على عبادتها ، وكانت التلبية من عهد إبراهيم عليه السلام : لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك ، حتى كان عمرو بن لحي ؛ فبينما هو يلبي تمثل له الشيطان في صورة شيخ فلبى معه ، فقال عمرو : لبيك لا شريك لك ، فقال الشيخ : إلا شريكاً هو لك ، فأنكر ذلك عمرو وقال : وما هذا ؟ فقال الشيخ قل : تملكه وما ملك ، فإنه لا بأس بهذا ، فقالها عمرو ودانت بها العرب ـ انتهى كلام السهيلي .

وقال الحافظ عماد الدين بن كثير في تاريخه : كانت العرب على دين إبراهيم إلى أن ولي عمرو بن عامر الخزاعي مكة وانتزع ولاية البيت من أجداد النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأحدث عمرو المذكور عبادة الأصنام وشرّع للعرب الضلالات من السوائب وغيرها وزاد في التلبية بعد قوله : لبيك لا شريك لك، قوله : إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك ، وهو أول من قال ذلك وتبعته العرب على الشرك فشابهوا بذلك قوم نوح وسائر الأمم المتقدمة وفيهم على ذلك بقايا من دين إبراهيم ؛ وكانت مدة ولاية خزاعة على البيت ثلاث مائة سنة وكانت ولايتهم مشؤومة إلى أن جاء قصي جد النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقاتلهم واستعان على حربهم بالعرب وانتزع ولاية البيت منهم إلا أن العرب بعد ذلك لم ترجع عما كان أحدثه

= عبد الله بن أحمد السهيلي المتوفى سنة إحدى وثمانين وخمس مائة ، وبدأ في إملاء هذا في محرم سنة تسع وستين وخمس مائة وكان الفراغ منه في جمادى الأولى من ذلك العام ؛ كذا في كشف الظنون ـ الحسن النعماني المصحح .

لها عمرو الخزاعي من عبادة الأصنام وغير ذلك لأنهم رأوا ذلك ديناً في نفسه لا ينبغي أن يُغير - انتهى .

فثبت أن آباء النبي صلى الله عليه وآله وسلم من عهد إبراهيم عليه السلام إلى زمان عمرو المذكور كلهم مؤمنون بيقين ، ونأخذ في الكلام على الباقي وعلى زيادة توضيح لهذا القدر.

الأمر الثاني مما ننتصر لهذا المسلك آيات وآثار في ذرية إبراهيم وعقبه :

الآية الأولى وهيَ أصرحها قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ * إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ * وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ ﴾[1].

أخرج عبد بن حميد في تفسيره بسنده عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ ﴾، قال : لا إله إلا الله باقية في عقب إبراهيم.

وأخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن مجاهد في قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلَها كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ ﴾ ، قال : لا إله إلا الله . وقال عبد ابن حميد حدثنا يونس عن شيبان عن قتادة في قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ ﴾ قال : شهادة أن لا إله إلاَّ الله والتوحيد ، لا يزال في ذريته من يقولها بعده . وقال عبد الرزاق في تفسيره عن معمر عن قتادة في قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ ﴾ ، قال : الإخلاص والتوحيد ، لا يزال في ذريته من يوحد الله ويعبده . أخرجه ابن المنذر ثم قال وقال ابن جريج في الآية في عقب إبراهيم : فلم يزل بعد في ذرية

---

(١) الآيات ٢٦ - ٢٨ / من سورة الزخرف .

إبراهيم من يقول : لا إله إلا الله ؛ قال وقول آخر : فلم ير ناس من ذريته على الفطرة يعبدون الله تعالى حتى تقوم الساعة.

وأخرج عبد بن حميد عن الزهري في الآية قال : العقب ولِدْه الذكور والإناث وأولاد الذكور.

وأخرج عن عطاء قال : العقب ولده وعصبته .

الآية الثانية قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَذَا ٱلْبَلَدَ آمِناً وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَّعْبُدَ ٱلأَصْنَامَ ﴾[1].

وأخرج ابن جرير في تفسيره عن مجاهد في هذه الآية قال : فاستجاب الله لإبراهيم دعوته في ولده فلم يعبد أحد من وِلْده صنماً بعد دعوته في ولده واستجاب الله له وجعل هذا البلد آمناً ورزق أهله من الثمرات وجعله إماماً وجعل من ذريته من يقيم الصلاة.

وأخرج البيهقي في « شعب الإيمان » عن وهب بن منبه : أن آدم ـ عليه السلام ـ لما أهبط إلى الأرض استوحش ـ فذكر الحديث بطوله في قصة البيت الحرام ، وفيه من قول الله لآدم في حق إبراهيم عليهما السلام : واجعله أمة واحدة قانتاً بأمري داعياً إلى سبيلي ، أجتبيه وأهديه إلى الصراط المستقيم ، أستجيب دعوته في ولده وذريته من بعده ، وأشفعه فيهم وأجعلهم أهل ذلك البيت وولاته وحماته ـ الحديث.

هذا الأثر موافق لقول مجاهد المذكور آنفاً ، ولا شك أن ولاية البيت كانت معروفة بأجداد النبي صلى الله عليه وآله وسلم خاصة دون سائر ذرية إبراهيم إلى أن انتزعها منهم عمرو الخزاعي ثم عادت إليهم ؛ فعرف أن كل ما ذكر عن ذرية إبراهيم من خير فإن أولى الناس به سلسلة الأجداد

(١) الآية ٣٥/ من سورة إبراهيم .

الشريفة الذين خصوا بالاصطفاء وانتقل إليهم نور النبوة واحداً بعد واحد فهم أولى بأن يكونوا هم البعض المشار إليهم في قوله : ﴿ رَبِّ ٱجْعَلْنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي ﴾ .

وأخرج ابن أبي حاتم عن سفيان بن عيينة أنه سُئِل : هل عبد أحد من ولد إسماعيل الأصنام؟ قال : لا ، ألم تسمع قوله : ﴿ وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ ﴾ ! قيل : فكيف لم يدخل ولد إسحاق وسائر ولد إبراهيم ؟ قال : لأنه دعا لأهل هذا البلد أن لا يعبدوا إذ أسكنهم إياه فقال : ﴿ اجعل هذا البلد آمناً ﴾ ، ولم يدع لجميع البلدان بذلك فقال : ﴿ وَٱجْنُبْنِي وبنيَّ أَنْ نعبدَ الأَصْنامَ ﴾ فيه ، وقد خص أهله وقال : ﴿ رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا ٱلصَّلَوٰةَ ﴾[1] فانظر إلى هذا الجواب من سفيان بن عيينة وهو أحد الأئمة المجتهدين وهو شيخ إمامنا الإمام الشافعي رضي الله عنهما.

الآية الثالثة قوله تعالى حكاية عن إبراهيم على نبينا وعليه الصلاة والسلام: ﴿ رَبِّ ٱجْعَلْنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي ﴾[2].

أخرج ابن المنذر عن ابن جريج في قوله : ﴿ رب اجعلني مقيم الصلوٰة ومن ذريتي ﴾، قال : فلن تزال من ذرية إبراهيم ناس على الفطرة يعبدون الله تعالى.

الآية الرابعة ، أخرج أبو الشيخ في تفسيره عن زيد[3] بن علي قال :

---

(١) الآية ٣٧/ من سورة إبراهيم . (٢) الآية ٤٠/ من سورة إبراهيم .

(٣) هو زيد بن علي بن الحسين بن علي رضي الله عنهم أحد أئمة أهل البيت ، قال ابن حبان في «الثقات»: رأى جماعة من الصحابة، قتل في أوائل صفر سنة اثنتين وعشرين ومائة ، وقال خليفة: سنة إحدى وبقي مصلوباً إلى سنة ست ولم تر له عورة ستراً من الله =

قالت سارة لما بشرتها الملائكة : ﴿ يَوَيْلَتَىٰ أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخاً إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ﴾[1] فقالت الملائكة ترد على سارة : ﴿ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ﴾[2] قال : فهو كقوله تعالى : ﴿ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ ﴾ ؛ فمحمد صلى الله عليه وآله وسلم وآله من عقب إبراهيم عليه السلام داخل في ذلك.

وقد أخرج ابن حبيب في تاريخه عن ابن عباس قال : كان عدنان ومعد وربيعة ومضر وخزيمة وأصله على ملة إبراهيم عليه السلام ، فلا تذكروهم إلا بخير.

وذكر أبو جعفر الطبري وغيره : أن الله أوحى إلى أرمياء أن اذهب إلى بخت نصر وأعلمه أني قد سلطته على العرب ، وأمر الله أرمياء أن يحتمل معه معد بن عدنان على البراق كي لا تصيبه النقمة فإني مستخرج من صلبه نبياً كريماً أختم به الرسل ؛ ففعل أرمياء ذلك واحتمل معداً إلى أرض الشام فنشأ مع بني إسرائيل ثم عاد بعد أن هدأت الفتن.

وأخرج ابن سعد في « الطبقات » من مُرْسَل عبد الله بن خالد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :(لا تسبوا مضر فإنه كان قد أسلم).

وقال السهيلي في « الروض الأُنُف » في الحديث المروي : لا تسبوا مضر ولا ربيعة فإنهما كانا مؤمنين . قلت : وقفت عليه مسنداً.

أخرجه أبو بكر محمد بن خلف بن حبان المعروف بوكيع في كتاب

= تعالى ، كما في خلاصة تذهيب التهذيب ـ الحسن .

(1) الآية ٧٢/ من سورة هود (2) الآية ٧٣/ من سورة هود .

« الغرر من الأخبار » قال : حدثنا إسحاق بن داود بن عيسى المروزي أبو يعقوب الشعراني قال حدثنا سليمان بن عبد الرحمن الدمشقي قال حدثنا عثمان بن فائد عن يحيى بن طلحة بن عبيد الله عن إسماعيل بن محمد بن سعد بن أبي وقاص عن عبد الرحمن [بن] أبي بكر الصديق رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : (لا تسبوا ربيعة ولا مضر فإنهما كانا مسلمين) .

وأخرج بسنده عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله وآله وسلم قال : (لا تسبوا تميماً وضبة فإنهم كانوا مسلمين) .

وأخرج بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : لا تسبوا قيساً فإنه كان مسلماً . ثم قال السهيلي : ويذكر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : (لا تسبوا إلياس فإنه كان مسلماً مؤمناً ، وذكر أنه كان يسمع في صلبه تلبية النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالحج .

قال : وكعب بن لؤي أول من جمع يوم العروبة ، وقيل : هو أول من سماها الجمعة ، فكانت قريش تجتمع إليه في هذا اليوم فيخطبهم ويذكرهم بمبعث النبي صلى الله عليه وآله وسلم ويعلمهم أنه من ولده ويأمرهم باتباعه والإيمان به وينشد في هذا أبياتاً منها قوله :

يا ليتني شاهد نجواء دعوته إذا قريش تريد الحق خذلانا

قال : وقد ذكر الماوردي[1] هذا الخبر عن محمد بن كعب في كتاب « أعلام النبوة » ـ انتهى .

---

(١) هو الشيخ الإمام أبو الحسن علي بن محمد الماوردي الشافعي المتوفى سنة خمسين

قلت : هذا الخبر أخرجه أبو نعيم في « دلائل النبوة » بسنده عن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف وفي آخره : وكان بين موت كعب وبعث النبي صلى الله عليه وآله وسلم خمس مائة سنة وستون سنة.

والماوردي المذكور هو أحد أئمة أصحابنا وهو صاحب « الحاوي الكبير » ، له كتاب «أعلام النبوة » في مجلد كثير الفوائد وقد رأيته وسأنقل منه في هذا الكتاب.

فحصل مما أوردناه أن آباء النبي صلى الله عليه وآله وسلم من عهد إبراهيم إلى كعب بن لؤي كانوا كلهم على دين إبراهيم عليه السلام ، وولده مرة بن كعب الظاهر أنه كذلك لأن أباه أوصاه بالإيمان ، وبقي بينه وبين عبد المطلب أربعة آباء وهم : كلاب وقصي وعبد مناف وهشام ، ولم أظفر فيهم بنقل لا بهذا ولا بهذا.

وأما عبد المطلب ففيه ثلاثة أقوال ، أحدها وهو الأشبه : أنه لم تبلغه الدعوة ، لأجل الحديث الذي في البخاري وغيره.

والثاني : أنه كان على التوحيد وملة إبراهيم ، وهو ظاهر عموم قول الإمام فخر الدين وما تقدم عن مجاهد وسفيان بن عيينة وغيرهما في تفسير الآيات السابقة.

والثالث : أن الله أحياه بعد بعثة النبي صلى الله عليه وآله وسلم حتى آمن به وأسلم ثم مات ، حكاه ابن سيد الناس ، وهذا أضعف الأقوال وأسقطها وأوهاها لأنه لا دليل عليه ولم يرد قط في حديث لا ضعيف ولا غيره ولا قال بهذا القول أحد من أئمة السنة ، إنما حكوه عن بعض الشيعة

= وأربع مائة ، له « أعلام النبوة » مشتملاً على واحد وعشرين باباً ، كما في « كشف الظنون » ـ القاضي محمد شريف الدين البالمي .

ولهذا اقتصر غالب المصنفين على حكاية القولين الأولين وسكتوا عن حكاية الثالث لأن خلاف الشيعة لا يعتد به.

قال السهيلي في «الروض الأُنُف»: وفي الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دخل على أبي طالب عند موته وعنده أبو جهل وابن أبي أمية وقال: (يا عم! قل: لا إله إلا الله، كلمة أشهد لك بها عند الله؛ فقال له أبو جهل وابن أبي أمية: أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فقال: أنا على ملة عبد المطلب).

قال: وظاهر هذا الحديث يقتضي أن عبد المطلب مات على الشرك. قال: ووجدت في بعض كتب المسعودي اختلافاً في عبد المطلب وأنه قد قيل فيه: مات مسلماً لما رأى من الدلائل على نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم وعلم أنه لا يُبعث إلا بالتوحيد ـ فالله أعلم، غير أن في «مسند البزار» وكتاب النسائي من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لفاطمة رضي الله عنها وقد عزت قوماً من الأنصار: لعلك بلغت معهم الكدى؟ فقالت: لا، فقال: لو كنت بلغت معهم الكدى ما رأيت الجنة حتى يراها جد أبيك.

قال: وقد أخرجه أبو داود ولم يذكر فيه: حتى يراها جد أبيك. قال: وفي قوله: جد أبيك، ولم يقل: جدك، تقوية للحديث الضعيف الذي قدمنا ذكره أن الله أحْيَى أباه وأمه وآمنا به ـ فالله أعلم، قال: ويحتمل أنه أراد تخويفها بذلك لأن قوله صلى الله عليه وآله وسلم حق وبلوغها معهم الكدى لا يوجب خلوداً في النار. هذا كله كلام السهيلي بحروفه.

وقال الشهرستاني في « الملل والنحل » : ظهر نور النبي صلى الله عليه وآله وسلم في أسارير عبد المطلب بعض الظهور ، وببركة ذلك النور ألهم النذر في ذبح ولده، وببركته كان يأمر ولده بترك الظلم والبغي ويحثهم على مكارم الأخلاق وينهاهم عن دنيات الأمور ، وببركة ذلك النور كان يقول في وصاياه : إنه لن يخرج من الدنيا ظلوم حتى ينتقم منه وتصيبه عقوبة ـ إلى أن هلك رجل ظلوم لم تصبه عقوبة ، فقيل لعبد المطلب في ذلك ، ففكر في ذلك فقال : والله ! إن وراء هذه الدار دار يُجْزَى فيها المحسن بإحسانه ويعاقب فيها المُسيء بإساءته ؛ وببركة ذلك النور قال لأبرهة : إن لهذا البيت رباً يحفظه، ومنه قال وقد صعد أبا قبيس :

لاهُمَّ إن المرء يمنع رحله فامنع حلالك
لا يغلبن صليبهم ومحالهم عدواً[1] محالك
فانصر على آل الصليب وعابديه اليوم آلك

انتهى كلام الشهرستاني .

ومتناسق ما ذكره ما أخرجه ابن سعد في طبقاته عن ابن عباس رضي الله عنهما : كانت الدية عشراً من الإبل وعبد المطلب أول من سن دية النفس مائة من الإبل، فجرت في قريش والعرب مائة من الإبل أقرَّها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . وينضم إلى ذلك أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انتسب إليه يوم حنين فقال :

أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب .

وهذا أقوى ما يقوى به مقالة الإمام فخر الدين ومن وافقه لأن الأحاديث وردت في النهي عن الانتساب إلى الآباء الكفار.

(١) وفي نسخة : أبدا .

روى البيهقي في الشعب من حديث أبي بن كعب ومعاذ بن جبل : أن رجلين انتسبا على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال أحدهما : (أنا فلان بن فلان أنا فلان بن فلان ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : انتسب رجلان على عهد موسى فقال أحدهما : أنا فلان بن فلان ـ إلى تسعة ، وقال الآخر : أنا فلان بن فلان الإسلام ؛ فأوحى الله إلى موسى : هذان المنتسبان أما أنت أيها المنتسب إلى تسعة آباء في النار ! فأنت عاشرهم في النار ، وأما أنت أيها المنتسب إلى اثنين ! فأنت ثالثهما في الجنة).

وروى البيهقي أيضاً عن أبي ريحانة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : من انتسب إلى تسعة آباء كفار يريد بهم عزاً وشرفاً فهو عاشرهم في النار .

وروى البيهقي أيضاً عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : (لا تفتخروا بآبائكم الذين ماتوا في الجاهلية فوالذي نفسي بيده ! لما يدحرج[1] الجعل بأنفه خير من آبائكم الذين ماتوا في الجاهلية).

وروى البيهقي أيضاً عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : (إن الله قد أذهب عنكم عيبة الجاهلية وفخرها بالآباء ، لينتهين أقوام يفتخرون برجال إنما هم فحم من فحم جهنم أو ليكونن أهون على الله من الجعلان التي تدفع النتن بأنفها).

والأحاديث في ذلك المعنى كثيرة ، وأوضح من ذلك في التقرير أن

(١) وفي النهاية : (ومنه الحديث) لما يدهده الجعل خير من الذين ماتوا في الجاهلية هو الذي يدحرجه من السرجين (والحديث الآخر) كما يدهده الجعل النتن بأنفه .

البيهقي أورد في « شعب الإيمان » حديث مسلم : إن في أمتي أربعاً من أمر الجاهلية ليسوا بتاركين : الفخر في الأحساب ـ الحديث.

وقال عقبة : وإن عورض هذا بحديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم في اصطفاء بني هاشم فقد قال الحليمي : لم يُرِدْ بذلك الفخر ، إنما أراد تعريف منازل المذكورين ومراتبهم كرجل يقول : كان أبي فقيهاً ، لا يريد به الفخر وإنما يريد به تعريف حاله دون ما عداه ؛ قال : وقد يكون أراد به الإشارة بنعمة الله عليه في نفسه وآبائه على وجه الشكر ، وليس ذلك من الاستطالة والفخر في شيء ـ انتهى ، فقوله : أراد تعريف منازل المذكورين ومراتبهم أو الإشارة بنعمة الله عليه في نفسه وآبائه على وجه الشكر فيه ، تقوية لمقالة الإمام فخر الدين وإجرائها على عمومها ، كما لا يخفى ، إذ الاصطفاء لا يكون إلا لمن هو على التوحيد.

ولا شك أن الترجيح في عبد المطلب بخصوصه عسير جداً لأن حديث البخاري وهو الذي فيه منع أبو جهل أبا طالب من الإيمان باستدلال ملة عبد المطلب مصادم قوي ، وإن أخذ في تأويله لم يوجد تأويل قريب ، والتأويل البعيد يأباه أهل الأصول ؛ ولهذا لما رأى البيهقي تصادم الأدلة لم يقدر على الترجيح فوقف ـ فالله أعلم .

وهذا يَصْلُح أن يُعَدَّ قولاً رابعاً فيه وهو الوقف ، وأكثر ما خطر لي في تأويل الحديث وجهان بعيدان فتركتهما ، وأما حديث النسائي فتأويله قريب وقد فتح السهيلي بابه وإن لم يُسْتَوفَ ، وإنما سهَّل الترجيح في جانب عبد الله مع أن فيه معارضاً قوياً وهو حديث مسلم لأن ما قاله السهيلي تأويل قريب في غاية الجلاء والوضوح وقامت الأدلة على رجحان جانب التأويل فسهل المصير إليه ـ والله أعلم.

ثم رأيت الإمام أبا الحسن الماوردي أشار إلى نحو ما ذكره الإمام فخر الدين إلا أنه لم يصرح كتصريحه فقال في كتابه « أعلام النبوة » : لما كان أنبياء الله صفوة عباده وخيرة خلقه ، لِمَا كلفهم من القيام بحقه والإرشاد لخلقه ، استخلصهم من أكرم العناصر ، واجتباهم بمحكم الأوامر، فلم يكن لنسبهم من قدح ، ولمنصبهم من جرح ، لتكون القلوب أصغى والنفوس لهم أوطأ ، فيكون الناس إلى إجابتهم أسرع ولأوامرهم أطوع ؛ وإن الله استخلص رسوله صلى الله عليه وآله وسلم من أطيب المناكح ، وحماه من دنس الفواحش ، ونقله من أصلاب طاهرة إلى أرحام منزهة .

وقد قال ابن عباس في تأويل قول الله تعالى : ﴿ وتقلبك في السَّاجِدِين ﴾ أي تقلبك من أصلاب طاهرة من أبٍ بعد أب إلى أن جعلك نبياً ، فكان نور النبوة ظاهراً في آبائه ؛ ثم لم يشركه في ولادته من أبويه أخ ولا أخت لأنهما صفوتهما إليه ، وقصور نسبهما عليه ليكون مختصاً بنسب جعله الله للنبوة غاية ولتفرده نهاية ، فيزول عنه إن شاركه فيه ويماثل منه ، فلذلك مات عنه أبواه في صغره ، فأما أبوه فمات وهو حمل ، وأما أمه فماتت وهو ابن ست سنين ؛ وإذا خبرت حال نسبه وعرفت طهارة مولده علمت أنه سلالة آباء كرام ، ليس في آبائه مسترذل ولا مغمور مسبل بل كلهم سادة قادة ؛ وشرف النسب وطهارة المولد من شروط النبوة ـ انتهى كلام الماوردي بحروفه .

وقال أبو جعفر النحاس[1] في « معاني القرآن » في قوله تعالى :

---

(١) هو أبو جعفر أحمد بن محمد النحاس النحوي المتوفى سنة ثمان وعشرين وثلاث مائة ـ القاضي محمد شريف الدين البالمي عفي عنه .

﴿ وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ ﴾ :[1] روي عن ابن عباس أنه قال : تقلبه في الظهور حتى أخرجه نبياً ؛ وما أحسن قول الحافظ شمس الدين بن ناصر الدين الدمشقي :

تنقل أحمد نوراً عظيماً   تلألأ في جباه الساجدينا
تقلب فيهم قرناً فقرناً   إلى أن جاء خير المرسلينا

وقال أيضاً:

حفظ الإله كرامة لمحمد   آباءه الأمجاد صوناً لاسمه
تركوا السفاح فلم يصبهم عاره   من آدم وإلى أبيه وأمه

وقال الشريف البوصيري[2] صاحب « البردة » رحمه الله :

كيف ترقى رقيك الأنبياء   يا سماء ما طاولتها سماء
لم يساووك في علاك وقد   حال سناء منك دونهم وسناء
إنما مثلوا صفاتك للنـ   ـاس كما مثل النجوم الماء
أنت مصباح كل فضل فما   تصدر إلا عن ضوئك الأضواء
لك ذات العلوم من عالم الغيـ   ـب ومنها لآدم الأسماء
ولم تزل في ضمائر الغيب[3] يختا   ر لك الأمهات والآباء
ما مضت فترة من الرسل إلا   بشرت قومها بك الأنبياء
تتباهى بك العصور وتسمو   بك علياء بعدها علياء

---

(١) الآية ٢١٩ / من سورة الشعراء .

(٢) هو الشيخ شرف الدين أبو عبد الله محمد بن سعيد الدولاصي ثم البوصيري المتوفى سنة أربع وتسعين وست مائة ، وقصيدته الهمزية في المدائح النبوية سماها « أم القرى » ـ القاضي محمد شريف الدين الحنفي عفي عنه .

(٣) وفي نسخة : الكون .

وبدا للوجود منك كريم | من كريم آباؤه كرماء
نسب تحسب العلى بحلاه | قلدتها نجومها الجوزاء
ومنها فهنيئاً به لآمنة الفضـــل الذي شرفت به حواء
من الحواء أنها حملت أحمد | أو أنها به نفساء
يوم نالت بوضعه ابنة وهب | من فخار ما لم تنله النساء
وأتت قومها بأفضل مما | حملت قبل مريم العذراء

فائدة

قال ابن أبي حاتم في تفسيره : حدثنا أبي حدثنا موسى بن أيوب النصيبي ، حدثنا حمزة عن عثمان بن عطاء عن أبيه قال : بين النبي صلى الله عليه وآله وسلم وبين آدم ـ عليه السلام ـ تسعة وأربعون أباً .

الأمر الثالث أثر ورد في أم النبي صلى الله عليه وآله وسلم خاصة ، أخرج أبو نعيم في « دلائل النبوة » بسند ضعيف من طريق الزهري عن أم سماعة بنت أبي رهم عن أمها قالت : شهدت آمنة أم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في علتها التي ماتت فيها ومحمد ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ غلام يفع له خمس سنين عند رأسها فنظرت إلى وجهه ثم قالت:

بارك فيك الله من غلام | يا ابن الذي من حومة الحمام
نجا بعون الملك المنعام | فُودِيَ غداة الضرب بالسهام
بمائة من إبل سوام | إن صح ما أبصرت في المنام
فأنت مبعوث إلى الأنام | من عند ذي الجلال والإكرام
تبعث في الحل وفي الحرام | تبعث بالتحقيق والإسلام

دين أبيك البر إبراهام فالله ينهاك عن الأصنام
أن لا تواليها مع الأقوام

ثم قالت : كل حي ميت ، وكل جديد بالٍ ، وكل كبيرٍ يفنى ، وأنا ميتة وذكري باقٍ ، وقد تركت خيراً وولدت طهراً ، ثم ماتت وكنا نسمع نوح الجن عليها فحفظنا من ذلك :

نبكي الفتاة البرة الأمينه	ذات الجمال العفة الرزينه
زوجة عبد الله والقرينه	أم نبي الله ذي السكينه
وصاحب المنبر في المدينه	صارت لدى حفرتها رهينه

وأنت ترى هذا الكلام منها صريحاً في النهي عن موالاة الأصنام مع الأقوام ، والاعتراف بدين إبراهيم عليه السلام ، ويبعث[1] ولدها إلى الأنام ، من عند ذي الجلال والإكرام بالإسلام ، وهذه الألفاظ منافية للشرك . وقولها : تبعث بالتحقيق ، كذا هو في النسخة ، وعندي أنه تصحيف وإنما هو بالتخفيف .

ثم إني استقرأت أمهات الأنبياء عليهم السلام فوجدتهن مؤمنات ، فأم إسحاق وموسى وهارون وعيسى وموسى وحواء أم شيث عليهم السلام مذكورات في القرآن بل قيل بنبوتهن ، ووردت الأحاديث بإيمان هاجر أم إسمعيل وأم يعقوب وأمهات أولاده وأم داود وسليمان وزكريا ويحيى وشمويل وشمعون وذي الكفل عليهم السلام ؛ ونص بعض المفسرين على إيمان أم نوح وأم إبراهيم عليهم السلام ، ورجحه ابن حبان في تفسيره .

---

(١) كذا ، ولعله ؛ بعث .

وقد تقدم عن ابن عباس رضي الله عنهما : إنه لم يكن بين نوح وآدم عليهما السلام ولد كافر ، ولهذا قال : ﴿ ربِّ آغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِناً ﴾[1] .

وقال إبراهيم : ﴿ رَبَّنَا آغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ آلْحِسَابُ ﴾[2] ولم يعتذر عن استغفار إبراهيم في القرآن إلا لأبيه خاصة دون أمه ، فدل على أنها كانت مؤمنة .

وأخرج الحاكم في « المستدرك » وصححه عن ابن عباس قال : كانت الأنبياء من بني إسرائيل إلا عشرة : نوح وهود وصالح ولوط وشعيب وإبراهيم وإسمعيل وإسحاق ويعقوب ومحمد عليهم الصلاة والسلام ؛ وبنو إسرائيل كلهم كانوا مؤمنين لم يكن فيهم كافر إلى أن بعث عيسى فكفر به من كفر ، فأمهات الأنبياء الذين من بني إسرائيل كلهم مؤمنات ، وأيضاً فغالب أنبياء بني إسرائيل كانوا أولاد أنبياء أو أولادهم فإن النبوة كانت تكون في سبط منهم يتناسلون كما هو معروف في أخبارهم .

وأما العشرة المذكورون من غير بني إسرائيل فقد ثبت إيمان أم نوح وإبراهيم وإسمعيل وإسحاق ويعقوب ، وبقي أم هود وصالح ولوط وشعيب عليهم السلام ، يحتاج إلى نقل أو دليل ، والظاهر إن شاء الله تعالى إيمانهن ؛ فكذلك أم النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وكان السر في ذلك ما يرينه من النور، ورد في الحديث :

أخرج أحمد والبزار والطبراني والحاكم والبيهقي عن العرباض بن سارية أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : إني عند الله لخاتم النبيين وإن آدم لمنجدل في طينة ، وسأخبركم عن ذلك دعوة إبراهيم

---

(١) الآية ٢٨/ من سورة نوح.

(٢) الآية ٤١/ من سورة إبراهيم.

وبشارة عيسى ورؤيا أمي التي رأت . وكذلك أمهات النبيين يرين وإن أم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رأت حين وضعته نوراً أضاءت له قصور الشام ، ولا شك أن الذي رأته أم النبي صلى الله عليه وآله وسلم في حال حملها به وولادتها له من الآيات أكثر وأعظم مما رآه سائر أمهات الأنبياء ، كما سقنا الأخبار بذلك في « كتاب المعجزات ».

وقد ذكر بعضهم : أنه لم ترضعه مرضعة إلا أسلمت، قال : ومرضعاته أربع : أمه وحليمة السعدية وثويبة وأم أيمن ـ انتهى . فإن قلت : فما تصنع بالأحاديث الدالة على كفرها وأنها في النار؟ وهو حديث أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال : ليت شعري ما فعل أبواي ! فنزلت : ﴿ ولا تُسْئَلُ عَنْ أَصْحٰبِ الْجَحِيمِ ﴾[1].

وحديث أنه استغفر لأمه فضرب جبرائيل في صدره وقال : لا تستغفر لمن مات مشركاً . وحديث أنه نزل فيها : ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ أَمَنُوٓا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ ﴾[2] وحديث أنه قال لابني مليكة : أمكما في النار ، فشق عليهما فدعاهما فقال : إن أمي مع أمكما.

قلت : الجواب أن غالب ما يروى من ذلك ضعيف ، ولم يصح في أم النبي صلى الله عليه وآله وسلم سوى حديث أنه استأذن في الاستغفار لها فلم يؤذن له، ولم يصح أيضاً في أمه إلا حديث مسلم خاصة ؛ وسيأتي الجواب عنهما.

وأما الأحاديث التي ذكرت فحديث : ليت شعري ما فعل أبواي! فنزلت الآية ، لم يخرج في شيء من كتب الأحاديث المعتمدة ، وإنما

---

(١) الآية ١١٩/ من سورة البقرة. (٢) الآية ١١٣/ من سورة التوبة .

ذكره في بعض التفاسير بسند منقطع لا يحتج به ولا يعول عليه.

ولو جئتنا تحتج بالأحاديث الواهية لعارضناك بحديث واهٍ: أخرجه ابن الجوزي من حديث علي رضي الله عنه مرفوعاً: هبط جبرائيل عليَّ فقال: إن الله يقرئك السلام ويقول: إني حرمت النار على صلب أنزلك وبطن حملك وحِجر كفلك. ويكون من باب معارضة الواهي بالواهي إلا أنا لا نرى ذلك ولا نحتج به.

ثم إن هذا السبب مردود بوجوه أخرى من جملة الأصول والبلاغة وأسرار البيان، وذلك أن الآيات من قبل هذه الآية ومن بعدها كلها في اليهود من قوله تعالى: ﴿ يَٰبَنِي إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِيٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّٰيَ فَٱرْهَبُونِ ﴾[1] - إلى قوله تعالى: ﴿ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ ﴾[2] ولهذا ختمت القصة بمثل ما صدرت به وهو قوله تعالى: ﴿ يٰبني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم ﴾ - الآية؛ فتبين أن المراد بأصحاب الجحيم كفار أهل الكتاب.

وقد ورد ذلك مصرحاً به في الأثر، أخرج عبد بن حميد والفريابي وابن جرير وابن المنذر في تفاسيرهم عن مجاهد قال: من أول البقرة أربع آيات في نعت المؤمنين، وآيتان في نعت الكافرين، وثلاث عشرة آية في نعت المؤمنين، وآيتان في نعت الكافرين، وثلاث عشرة آية في المنافقين، ومن أربعين آية إلى عشرين ومائة في بني إسرائيل إشارة صحيحة؛ ومما يؤكد ذلك أن السورة مدنية وأكثر ما خوطب فيها اليهود، وترشح ذلك من حيث المناسبة أن الجحيم اسم لما عظم من النار كما هو مقتضى اللغة والآثار.

---

(١) الآية ٤٠/ من سورة البقرة. (٢) الآية ١٢٤/ من سورة البقرة.

أخرج ابن أبي حاتم عن أبي مالك في قوله تعالى : ﴿ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ ﴾[1] ما عظم من النار .

أخرج ابن جرير وابن المنذر عن ابن جريج في قوله تعالى : ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ ﴾[2] ، قال : أولها جهنم ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية ، قال : والجحيم فيها أبو جهل . إسناده صحيح أيضاً، فاللائق لهذه المنزلة من عظم كفره واشتد وزره وعاند عند الدعوة وبدّل وحرّف وجحد بعد علم ، لا من هو بمظنة التخفيف ؛ وإذا كان قد صح في أبي طالب أنه أهون أهل النار عذاباً لقرابته منه صلى الله عليه وآله وسلم وبره به مع إدراكه الدعوة وامتناعه من الإجابة وطول عمره فما ظنك بأبويه اللذين هما أشد منه قرباً وآكد حباً وأبسط عذراً وأقصر عمراً! فمعاذ الله أن يظن بهما أنهما في طبقة الجحيم وأن يشدد عليهما العذاب العظيم ! هذا لا يفهمه من له أدنى ذوق سليم .

وأما حديث أن جبرائيل ضرب في صدره وقال : لا تستغفر لمن مات مشركاً ، فإن البزار أخرجه بسند فيه من لا يعرف ؛ وأما حديث نزول الآية في ذلك فضعيف أيضاً ، والثابت في الصحيح أنها نزلت في أبي طالب وقوله صلى الله عليه وآله وسلم له (لأستغفرن لك ما لم أنهَ عنك) .

وأما حديث: أمي مع أمكما ، فأخرجه الحاكم في مستدركه وقال : صحيح ؛ وشأن «المستدرك» في تساهله في التصحيح معروف، وقد تقرر في علوم الحديث أنه لا يقبل تفرده بالصحيح .

ثم إن الذهبي في « مختصر المستدرك » لما أورد هذا الحديث ونقل قول الحاكم : صحيح ، قال عقبة قلت : لا والله ! فعثمان بن عمير ضعفه

---

(١) الآية ١١٩/ من سورة البقرة . (٢) الآية ٤٤/ من سورة الحجر .

الدارقطني ؛ فبين الذهبي ضعف الحديث وحلف عليه يميناً شرعياً . وإذا لم يكن في المسألة إلا أحاديث ضعيفة كان للنظر في غيرها مجال .

الأمر الرابع فيما ننتصر به لهذا المسلك أنه قد ثبت عن جماعة كانوا في زمن الجاهلية أنهم حنفوا وتدينوا بدين إبراهيم عليه السلام وتركوا الشرك ، فما المانع أن يكون أبوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم سلكوا سبيلهم في كل ذلك !

وقال الحافظ أبو الفرج ابن الجوزي في « التلقيح »[1] : تسمية من رفض عبادة الأصنام في الجاهلية : أبو بكر الصديق ، زيد بن عمرو بن نفيل ، عبد الله بن جحش ، عثمان بن الحويرث ، ورقة بن نوفل ، رباب بنت البراء ، أسعد بن كريب الحميري ، قس بن ساعدة الأيادي ، أبو قيس بن صرمة ـ انتهى .

وقد وردت الأحاديث بتحقيق زيد بن عمرو بن نفيل وورقة وقس ، وقد روى ابن إسحاق وأصله في الصحيح تعليقاً عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت : لقد رأيت زيد بن عمرو بن نفيل مسنداً ظهره إلى الكعبة يقول : يا معشر قريش ! ما أصبح منكم أحد على دين إبراهيم غيري ، ثم يقول : اللهم ! إني لو أعلم أحب الوجوه إليك عبدتك به ولكني لا أعلم .

---

(١) اسمه « تلقيح فهوم الأثرة في التاريخ والسيرة » لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي البغدادي المتوفى سنة سبع وتسعين وخمس مائة ، وهو كتاب على أسلوب « المعارف » لابن قتيبة ، بين فيها أصناف الصحابة والصحابيات والتابعين بذكر أسمائهم ؛ كما في « كشف الظنون » ـ القاضي محمد شريف الدين الحنفي البالمي عفي عنه .

قلت : ويؤيد هذا ما تقدم في السلك الأول أنـه لم يبق إذ ذاك من يبلغ الدعوة ويعرف حقيقتها على وجهها .

وأخـرج أبو نعيم في « دلائـل النبوة » عن عمـرو بن عبسة السلمي قـال : رغبت عن آلهة قـومي في الجاهليـة ورأيت أنها البـاطـل يعبـدون الحجارة .

أخرج البيهقي وأبو نعيم كلاهما في « الدلائل » من طـريق الشعبي عن شيخ من جهينة : ان عمرو بن حبيب أدرك الإسلام .

وقال إمام الأشاعرة الشيخ أبو الحسن الأشعـري : وأبو بكـر ما زال بعين الرضا منه ، فاختلف الناس في مراده بهذا الكلام فقال بعضهم : إن الأشعري يقول : إن أبا بكر الصديق كان مؤمناً قبل البعثة ، وقال آخرون : بل أراد أنه لم يزل بحالة غير مغضوب فيها عليه لعلم الله تعالى بأنه سيؤمن ويصير من خلاصة الأبرار . وقال الشيخ تقي الدين السبكي ؛ لو كان هذا مراده لاستوى الصديق وسائر الصحابة في ذلك ، وهذه العبارة التي قالها الأشعـري في حق الصديق لم يحفظ عنـه في حق غيره : فـالصـواب أن يقال : لم يثبت عنه حالة كفر بالله فلعـل حالـه قبل البعث كحـال زيد بن عمـرو بن نفيل وأقـرانـه فلهـذا خصص الصـديق بـالـذكـر عن غيـره من الصحابة ـ انتهى كلام السبكـي .

قلت : وكذلك نقول في حق أبوي النبي صلى الله عليه وآله وسلم : إنهما لم يثبت عنهما حالة كفر بالله فلعل حالهما كحال زيـد بن عمرو بن نفيل وأبي بكر الصديق وأضرابهما ، مع أن الصديق وزيد بن عمـرو إنما حصل لهما التخفيف في الجاهلية ببـركة النبي صلى الله عليـه وآله وسلم فإنهما كانا صديقين له قبل البعثة وكانا يودانه كثيراً فأبواه أولى بعود بـركته

عليهما وحفظهما مما كان عليه أهل الجاهلية .

فإن قلت : بقيت عقدة واحدة وهي ما رواه مسلم عن أنس أن رجلاً قال : يا رسول الله ! أين أبي ؟ قال : في النار ، فلما قفا دعاه فقال : إن أبي وأباك في النار . وحديث مسلم وأبي داود عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم استأذن في الاستغفار لأمه فلم يؤذن له ، فاحلل هذه العقدة .

قلت : على الرأس والعين الجواب ، إن هذه اللفظة وهي قوله : إن أبي وأباك في النار ، لم يتفق على ذكرها الرواة ، وإنما ذكرها حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس وهي الطريق التي رواه مسلم منها وقد خالفه معمر عن ثابت فلم يذكر : إن أبي وأباك في النار ، ولكن قال له : إذا مررت بقبر كافر فبشره بالنار .

وهذا اللفظ لا دلالة فيه على والده صلى الله عليه وآله وسلم بأمر البتة وهو أثبت من حيث الرواية فإن معمراً أثبت من حماد ، فإن حماداً تكلم في حفظه ووقع في أحاديثه مناكير ، ذكروا أن ربيبه دسها في كتبه ، وكان حماد لا يحفظ فحدث بها فوهم فيها ؛ ومن ثم لم يخرج له البخاري شيئاً ولا خرج له مسلم في الأصول إلا من روايته عن ثابت .

قال الحاكم في « المدخل » : ما خرج مسلم لحماد في الأصول إلا من حديثه عن ثابت ، وقد خرج له في « الشواهد » عن طائفة ، وأما معمر فلم يتكلم في حفظه ولا استنكر شيء من حديثه ، واتفق على التخريج له الشيخان فكان لفظه أثبت .

ثم وجدنا الحديث ورد من حديث سعد بن أبي وقاص بمثل لفظ رواية معمر عن ثابت عن أنس ، فأخرج البزار والطبراني والبيهقي من

طريق إبراهيم بن سعد عن الزهري عن عامر بن سعد[1] عن أبيه : أن أعرابياً قال لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : أين أبي ؟ قال : في النار ، قال : فأين أبوك ؟ قال : حيثما مررت بقبر كافر فبشره بالنار .

وهذا إسناد على شرط الشيخين ، فتعين الاعتماد على هذا اللفظ وتقديمه على غيره .

وقد زاد الطبراني والبيهقي في آخره وقال : فأسلم الأعرابي بعد ، فقال : لقد كلفني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تعباً ، ما مررت بقبر كافر إلا بشرته بالنار .

وقد أخرج ابن ماجه من طريق إبراهيم بن سعد عن الزهري عن سالم[2] عن أبيه قال : جاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال : (يا رسول الله ! إن أبي كان يصل الرحم وكان وكان فأين هو ؟ قال : « في النار » . قال : فكأنه وجد من ذلك . فقال : يا رسول الله ! فأين أبوك ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : حيثما مررت بقبر مشرك فبشره بالنار ، فأسلم الأعرابي بعد ، فقال : لقد كلفني رسول الله ﷺ تعباً ، ما مررت بقبر كافر إلا بشرته بالنار) .

---

(١) في « خلاصة تذهيب التهذيب » : عامر بن سعد بن أبي وقاص الزهري المدني عن أبيه وعثمان والعباس رضي الله عنهم ، وعنه ابنه داود والزهري . قال ابن سعد : كان ثقة كثير الحديث . قال الواقدي : مات سنة أربع ومائة رحمة الله عليه ـ الحسن النعماني أنعم الله عليه بحسن الخاتمة .

(٢) هو سالم بن عبد الله بن عمر العدوي المدني الفقيه أحد الفقهاء السبعة ، روى عن أبيه وأبي هريرة ورافع بن خديج وعائشة رضي الله عنهم . قال ابن إسحاق : أصح الأسانيد كلها : الزهري عن سالم عن أبيه . مات سنة ست ومائة على الأصح ؛ كذا في الخلاصة ـ الحسن النعماني .

فهذه الزيادة أوضحت بلا شك أن هذا اللفظ العام هو الـذي صدر منه صلى الله عليه وآلـه وسلم ورآه الأعرابي بعـد إسلامـه أمـراً مقتضيـاً للامتثال فلم يتعبه إلا امتثاله . ولو كان الجواب باللفظ الأول لم يكن فيه أمر بشيء البتة ، فعلم أن اللفظ الأول من تصرف الراوي ، رواه بالمعنى على حسب فهمه .

وقـد وقع في الصحيحين روايـات كثيـرة من هـذا النمط فيهـا لفظ تصرف فيه الراوي وغيره أثبت منه كحديث مسلم عن أنس في نفي قراءة البسملة ، وقد أعله الإمام الشافعي رضي الله عنه بذلك وقال : إن الثابت من طريق آخر ينفي سماعها ففهم منه الراوي نفي قراءتها فـرواه بالمعنـى على ما فهمه فأخطأ .

ونحن أجبنا عن حديث مسلم في هذا المقام بنظير ما أجاب به إمامنا الإمام الشافعي رضي الله عنه عن حديث مسلم في نفي قراءة البسملة ، ثم لو فرض اتفاق الرواة على اللفظ الأول كان معارضاً لما تقدم من الأدلة .

والحديث الصحيح إذا عارضه أدلة أخرى هي أرجح منه وجب تأويله وتقديم تلك الأدلة عليه كما هو مقرر في الأصول .

وبهذا الجواب الأخير يجاب عن حـديث عدم الإذن في الاستغفـار لأمـه على أنه يمكن فيـه دعوى عـدم الملازمـة بدليـل أنه كـان في صدر الإسلام ممنوعاً من الصلاة على من عليه دين وهو مسلم فلعله كانت عليها تبعات غير الكفر فمنع أيضـاً من الاستغفار لهـا بسببها ، والجـواب الأول أنقد ، وهذا تأويل في الجملة .

ثم رأيت طريقاً للحديث مثل لفظ رواية معمر وأزيد وضوحـاً وذلك أنه صرح فيه بأن السائل أراد أن يسـأل عن أبيه صلى الله عليـه وآله وسلم

فعدى عن ذلك تأملاً وتأدباً ، فأخرج الحاكم في « المستدرك » وصححه عن لقيط بن عامر أنه خرج وافداً إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومعه نهيك بن عاصم بن مالك بن المنتفق ، قال : فقدمنا المدينة لانسلاخ رجب فصلينا معه صلاة الغداة ، فقام رسول الله ﷺ في الناس خطيباً ـ فذكر الحديث إلى أن قال فقلت: يا رسول الله ! هل في أحد ممن مضى منا في الجاهلية من خير ؟ فقال رجل من عرض قريش : إن أباك المنتفق في النار ، فكأنه وقع بحر بين جلد وجهي ولحمي مما قال لأبي على رؤوس الناس ، فهممت أن أقول : وأبوك يا رسول الله ؟ ثم نظرت فإذا الأخرى أجمل فقلت : وأهلك يا رسول الله ؟ قال : ما أتيت عليه من قبر قرشي أو عامري مشرك فقل : أرسلني إليك محمد فأبشرك بما بشرك .

هذه رواية لا إشكال فيها ، وهي أوضح الروايات وأبينها تقريراً ، وما المانع أن يكون قول السائل : فأين أبوك ؟ وقوله صلى الله عليه وآله وسلم في حديث أنس : إن أبي ، إن ثبت المراد به عمه أبو طالب لا أبوه عبد الله كما قال بذلك الإمام فخر الدين في أب إبراهيم إنه عمه ، وقد تقدم نقله عن ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وابن جريج والسدي . ويرشحه هاهنا أمران :

الأمر الأول : إن إطلاق ذلك على أبي طالب كان شائعاً في زمن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، ولهذا كانوا يقولون له : قل لابنك يرجع عن شتم آلهتنا . وقال لهم أبو طالب مرة ـ لما قالوا له : أعطنا ابنك نقتله وخذا هذا الولد مكانه ـ : أعطيكم ابني تقتلونه وآخذ ابنكم أكفله لكم !

ولما سافر أبو طالب إلى الشام ومعه النبي صلى الله عليه وآله وسلم نزل له بحيراء فقال له : ما هذا منك ؟ قال : هو ابني ؟ فقال : ما ينبغي

لهذا الغلام أن يكون أبوه حيًا . فكانت تسمية أبي طالب أباً للنبي صلى الله عليه وآله وسلم شائعة عندهم لكونه عمه وكونه رباه وكفله من صغره ، وكان يحوطه ويحفظه وينصره ، فكان مظنة السؤال عنه .

والأمر الثاني : أنه وقع في حديث شبه هذا ذكر أبي طالب في دلائل القصد ، أخرج الطبراني عن أم سلمة : أن الحارث بن هشام أتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم يوم حجة الوداع فقال : (يا رسول الله ! إنك تحث على صلة الرحم والإحسان إلى الجار وإبرار اليتيم وإطعام الضيف وإطعام المساكين وكل هذا كان يفعله هشام بن المغيرة، فما ظنك به يا رسول الله ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : كل قبر لا يشهد صاحبه أن لا إله إلاّ الله فهو جذوة من النار، وقد وجدت عمي أبا طالب في طمطام من النار ، فأخرجه الله لمكانه مني ، وإحسانه إليَّ فجعله في ضحضاح من النار) .

تنبيه

قد استراح جماعة من هذه الأجوبة كلها وأجابوا عن الأحاديث الواردة فيهما بأنها منسوخة كما أجابوا عن الأحاديث الواردة في أطفال المشركين أنهم في النار ، وقالوا : الناسخ لأحاديث أطفال المشركين قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾[1] ولأحاديث الأبوين قوله تعالى : ﴿ وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً ﴾ .

ومن اللطائف كون الجملتين في الفريقين مقرنتين في آية واحدة متعاطفتين متناسقتين في النظم .

---

(١) الآية ١٦٤ / من سورة الأنعام .

وهذا جواب مختصر مفيد يغني عن كل جواب إلا أنه يتأتى على المسلك الأول دون الثاني كما هو واضح ، فلهذا احتجنا إلى تحرير الأجوبة عنها على المسلك الثاني .

تتمة

قد ثبت في الحديث : إن أهون أهل النار عذاباً أبو طالب ، وأنه في ضحضاح من النار في رجليه نعلان يغلي منهما دماغه . وهذا يدل على أن أبوي النبي صلى الله عليه وآله وسلم ليسا في النار ، لأنهما لو كانا فيها لكانا أهون عذاباً من أبي طالب لأنهما أقرب منه مكاناً وأبسط عذراً لأنهما لم يدركا البعثة ولا عرض عليهما الإسلام فامتنعا بخلاف أبي طالب ، وقد أخبر الصادق المصدوق ﷺ : أنه أهون أهل النار عذاباً ، فليس أبواه من أهلها ؛ وهذا يسمى عند أهل الأصول دلالة الإشارة .

منصب ميدان جدلي

المجادلون في هذا الزمان كثير خصوصاً في هذه المسألة وأكثرهم ليس لهم معرفة بطرق الاستدلال فالكلام معهم ضائع غير أني أنظر الذي يجادل : وأكلمه بطريق يقرب من ذهنه فإنه أكثر ما عنده أن يقول : الذي ثبت في صحيح مسلم يدل على خلاف ما تقول ، فإن كان الذي يجادل بذلك من أهل مذهبنا شافعي المذهب أقول له : قد ثبت في صحيح مسلم أنه صلى الله عليه وآله وسلم لم يقرأ في الصلاة « بسم الله الرحمن الرحيم » وأنت لا تصحح الصلاة بدون البسملة . وثبت في الصحيح أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال : إنما جعل الإمام ليؤتم به فلا تختلفوا عليه فإذا ركع فاركعوا وإذا رفع فارفعوا ، وإذا قال : سمع الله لمن حمده

فقولوا : ربنا لك الحمد ، وإذا صلى جالساً فصلوا جلوساً أجمعون ؛ وأنت - إذا قال : سمع الله لمن حمده - تقول : سمع الله لمن حمده مثله ، وإذا صلى جالساً بعذر وأنت قادر تصلي خلفه قائماً لا جالساً . وثبت في الصحيحين في حديث التيمم : إنما يكفيك أن تعمل بيديك هكذا ثم ضرب بيده ضربة واحدة ومسح الشمال على اليمين وظاهر كفيه ووجهه ، وأنت لا تكتفي في التيمم بضربة واحدة ولا بالمسح إلى الكوعين ، فكيف خالفت الأحاديث التي ثبتت في الصحيحين أو أحدهما ؟ فلا بد إن كانت عنده رائحة من العلم أن يقول : قامت أدلة أخرى معارضة لهذه فقدمت عليها ، فأقول له : وهذا مثله لا يحتج عليه إلا بهذه الطريقة فإنها ملزمة له ولأمثاله .

فإن كان المجادل مالكي المذهب أقول له : قد ثبت في الصحيحين : المتبايعان بالخيار ما لم يتفرقا ، وأنت لا تثبت خيار المجلس . وثبت في صحيح مسلم : أنه صلى الله عليه وآله وسلم توضأ ولم يمسح كل رأسه ، وأنت توجب في الوضوء مسح كل الرأس ، فكيف خالفت ما ثبت في الصحيح ؟ فيقول : قامت أدلة أخرى معارضة له فقدمت عليه ، فأقول له : وهذا مثله .

وإن كان المجادل حنفي المذهب أقول له : قد ثبت في الصحيحين : إذا ولغ الكلب في إناء أحدكم فليغسله سبعاً ، وأنت لا تشترط في النجاسة الكلبية سبعاً .

وثبت في الصحيحين : لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب ، وأنت تصحح الصلاة بدونها . وثبت في الصحيحين : ثم ارفع حتى تعتدل قائماً ، وأنت تصحح الصلاة بدون الطمأنينة في الاعتدال . وصح في

الحديث : إذا بلغ الماء قلتين لم يحمل خبثاً ، وأنت لا تعتبر القلتين .

وصح في الصحيحين : أنه صلى الله عليه وآله وسلم باع المدبر ، وأنت لا تقول ببيع المدبر ، فكيف خالفت هذه الأحاديث الصحيحة ؟ فيقول : قامت أدلة أخرى معارضة لها فقدمت عليها ، فأقول له : وهذا مثله .

وإن كان المجادل حنبلي المذهب أقول له : قد ثبت في الصحيحين : من صام يوم الشك فقد عصى أبا القاسم ، وثبت فيهما : لا تقدموا رمضان بصوم يوم ولا يومين ، وأنت تقول بصيام يوم الشك ، فكيف خالفت ما ثبت في الصحيحين ؟ فيقول : قامت أدلة أخرى معارضة له فقدمت عليه، فأقول له : وهذا مثله . هذا أقرب بالقرب به لأذهان الناس اليوم .

وإن كان المجادل ممن يكتب الحديث ولا فقه عنده يقال له : قد قالت الأقدمون : المحدث بلا فقه كعطار غير طبيب ، فالأدوية حاصلة في دكانه ولا يدري لماذا تصلح ، والفقيه بلا حديث كطبيب ليس بعطار يعرف ما يصلح له الأدوية إلا أنها ليست عنده . وإني بحمد الله قد اجتمع عندي الحديث والفقه والأصول وسائر الآلات من العربية والمعاني والبيان وغير ذلك . فأنا أعرف كيف أتكلم ، وكيف أقول ، وكيف أستدل ، وكيف أرجح . أما أنت يا أخي ! ـ وفقني الله وإياك ـ فلا يصلح لك ذلك لأنك لا تدري الفقه ولا الأصول ولا شيئاً من الآلات والكلام في الحديث ، والاستدلال به ليس بالهين ولا يحل الإقدام على التكلم فيه لمن لم يجمع هذه العلوم ، فَاقْتصر على ما آتاك الله وهو أنك إذا سئلت عن حديث تقول :ورد أو لم يرد ، وصححه الحفاظ أو حسنوه أو ضعفوه ؛ لا يحل لك

في الإفتاء سوى هذا القدز وخلّ ما عدا ذلك لأهله :

لا تحسب المجد تمراً أنت آكله   لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبرا

وثمّ أمر آخر أخاطب به كل ذي مذهب من مقلدي المذاهب الأربعة ، وذلك أن مسلماً روى في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنهما : أن طلاق الثلاث كان يُجْعَل واحدة في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأبي بكر وصدراً من إمارة عمر رضي الله عنهما . فأقول لكل طالب علم : هل تقول أنت بمقتضى هذا الحديث : إن من قال لزوجته : أنت طالق ثلاثاً ، تطلق واحدة فقط ؟ فإن قال : نعم ، أعرضت عنه ، وإن قال : لا ، أقول له : فكيف تخالف ما ثبت في صحيح مسلم ؟ فإن قال : لما عارضه ؛ أقول له : فاجعل هذا مثله . والمقصود من سياق هذا كله أنه ليس كل حديث في صحيح مسلم يقال بمقتضاه لوجود المعارض له .

المسلك الثالث

إن الله أحيا له أبويه حتى آمنا به ، وهذا المسلك مال إليه طائفة كبيرة من حفاظ المحدثين وغيرهم ، منهم : ابن شاهين[1] والحافظ أبو بكر الخطيب البغدادي والسهيلي والقرطبي والمحب الطبري والعلامة ناصر الدين بن المنير وغيرهم ، واستدلوا لذلك بما أخرجه ابن شاهين في « الناسخ والمنسوخ » والخطيب البغدادي في « السابق واللاحق » والدارقطني وابن عساكر كلاهما في « غرائب مالك» بسند ضعيف عن عائشة رضي الله عنها قالت : حج بنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حجة الوداع فمر بي

---

(١) هو أبو حفص عمر بن شاهين البغدادي الواعظ المتوفى سنة خمس وثمانين وثلاث مائة ـ رحمه الله تعالى ، كذا في « كشف الظنون » .

على عقبة الحجون وهو باك حزين مغتم فنزل فمكث عني طويلاً ثم عاد إليّ وهو فرح متبسم ، فقلت له ، فقال : ذهبت بقبر أمي فسألت الله أن يحييها فأحياها فآمنت بي وردها الله .

هذا الحديث ضعيف باتفاق المحدثين بل قيل : إنه موضوع ، لكن الصواب ضعفه لا وضعه ، وقد ألفت في بيان ذلك جزءاً مفرداً ، وأورد السهلي في « الروض الأُنُف » بسند قال : إن فيه مجهولينْ عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سأل ربه أن يُحْيِيَ أبويه فأحياهما له فآمنا به ثم أماتهما .

وقال السهيلي بعد إيراده : الله قادر على كل شيء وليس تعجز رحمته وقدرته عن شيء ، ونبيه صلى الله عليه وآله وسلم أهل أن يختص بما شاء من فضله وينعم عليه بما شاء من كرامته .

وقال القرطبي : لا تعارض بين حديث الإحياء وحديث النهي عن الاستغفار ، وأن حديث إحيائهما متأخر عن الاستغفار لهما بدليل حديث عائشة رضي الله عنها : إن ذلك كان في حجة الوداع ، ولذلك جعله ابن شاهين ناسخاً لما ذكر من الأخبار .

وقال العلامة ناصر الدين بن المنير المالكي في كتاب « المقتفى في شرف المصطفى » : قد وقع لنبينا صلى الله عليه وآله وسلم إحياء الموتى نظير ما وقع لعيسى ابن مريم - إلى أن قال : وجاء في حديث أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما منع من الاستغفار للكفار دعا الله أن يحيي له أبويه فأحياهما فآمنا به وصدقا وماتا مؤمنين .

وقال القرطبي : فضائل النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم تزل

تتوالى وتتابع إلى حين مماته فيكون هذا مما فضله الله به وأكرمه ، قال : وليس إحياؤهما وإيمانهما به الممتنع عقلاً ولا شرعاً .

وقد ورد في القرآن إحياء قتيل بني إسرائيل والاخبار بقاتله، وكان عيسى عليه السلام يحيي الموتى ، وكذلك نبينا صلى الله عليه وآله وسلم أحيا الله على يديه جماعة من الموتى ؛ قال: وإذا ثبت هذا فما يمتنع من إيمانهم بعد إحيائهما زيادة في كرامته وفضيلته .

وقال الحافظ فتح الدين ابن سيد الناس في سيرته بعد ذكر قصة الإحياء والأحاديث الواردة في التعذيب : وذكر بعض أهل العلم في الجمع بين الروايات ما حاصله أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يزل راقياً في المقامات السنية صاعداً في الدرجات العلية إلى أن قبض الله روحه الطاهرة إليه وأزلفه بما خصه لديه من الكرامات حين القدوم عليه ، فمن الجائز أن تكون هذه درجة حصلت له صلى الله عليه وآله وسلم بعد أن لم تكن وأن يكون الإحياء والإيمان متأخراً عن تلك الأحاديث فلا تعارض ـ انتهى .

وقد أشار بعض العلماء إلى ذلك فقال بعد إيراده خبر حليمة وما أسداه صلى الله عليه وآله وسلم إليها حين قدومها عليه :

هذا جزاء الأم عن إرضاعه	لكن جزاء الله عنه عظيم
وكذاك أرجو أن يكون لأمه	عن ذاك آمنة بدر نعيم
ويكون أحياها الإله وآمنت	بمحمد فحديثها معلوم
فلربما سعدت به أيضاً كما	سعدت به بعد الشقاء حليم

وقال الحافظ شمس الدين محمد بن ناصر الدين الدمشقي[1] في

---

(١) المتوفى سنة اثنتين وأربعين وثماني مائة ـ القاضي محمد شريف الدين .

كتابه المسمى « مورد الصادي في مولد الهادي » بعد إيراد الحديث منتشداً[1] لنفسه :

حبا الله النبي مزيد فضل	على فضل وكان به رؤوفا
فأحيا الله أمه وكذا أباه	لإيمان به فضلاً لطيفا
فسلم فالقديم بذا قدير	وإن كان الحديث به ضعيفا

خاتمة

وجمع من العلماء لم تقو عندهم هذه المسالك فأبقوا حديثي مسلم ونحوهما على ظاهرها[2] من غير عدول عنهما بدعوى نسخ ولا غيره ومع ذلك قالوا : لا يجوز لأحد أن يذكر ذلك . قال السهيلي في « الروض الأُنف » بعد إيراده حديث مسلم : وليس لنا بحق أن نقول ذلك في أبويه صلى الله عليه وآله وسلم لقوله : لا تؤذوا الأحياء بسبب الأموات ؛ وقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ الآية .

وسئل القاضي أبو بكر بن العربي أحد الأئمة المالكية عن رجل قال : إن آباء النبي صلى الله عليه وآله وسلم في النار ، فأجاب بأن من قال ذلك فهو ملعون لقوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ ﴾[3] قال : ولا أذى أعظم من أن يقال عن أبيه : إنه في النار .

ومن العلماء من ذهب إلى قول خامس وهو الوقف . قال الشيخ تاج

---

(١) كذا، ولعله: منشداً.

(٢) كذا، والظاهر: ظاهرهما.

(٣) الآية ٥٧/ من سورة الأحزاب.

الدين الفاكهاني في كتابه « الفجر المنير » : الله أعلم بحال أبويه . وقال الباجي في « شرح الموطأ » : قال بعض العلماء : إنه لا يجوز أن يؤذى النبي صلى الله عليه وآله وسلم بفعل مباح ولا غيره ، وأما غيره من الناس فيجوز أن يؤذى بمباح وليس له المنع منه ولا يأثم فاعل المباح وإن وصل بذلك أذى إلى غيره ؛ وقال : ولذلك قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذا أراد علي بن أبي طالب أن يتزوج ابنة أبي جهل : إنما فاطمة بضعة مني وإني لا أحرم ما أحل الله تعالى ، ولكن والله ! لا تجتمع ابنة رسول الله وابنة عدو الله عند رجل أبداً ! فجعل حكمها في ذلك حكمه أنه لا يجوز أن يؤذى بمباح . واحتج على ذلك بقوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ﴾ الآيتين ، فشرط على المؤمنين أن يؤذوا ﴿ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ ﴾[1] وأطلق الأذى في خاصة النبي صلى الله عليه وآله وسلم من غير شرط ـ انتهى .

المسألة

وقد سئلت أن أنظم في هذه المسألة أبياتاً أختم بها هذا التأليف فقلت :

إن الذي بعث النبي محمداً	أنجى به الثقلين مما يحجف[2]
ولأمه وأبيه حكم شائع	أبداه أهل العلم فيما صنفوا
فجماعة أجروهما مجرى الذي	لم يأته خبر الدعاة المسعف
والحكم فيمن لم تجئه دعوة	أن لا عذاب عليه حكم مؤلف

---

(١) الآية ٥٨ / من سورة الأحزاب.

(٢) كذا ، والظاهر : يجحف . أي يهلك ويستاصل .

فبذاك قال الشافعية كلهم والأشعرية ما بهم متوقف
وبسورة الاسراء فيه حجة وبنحو ذا في الذكر آي تعرف
ولبعض أهل الفقه في تعليله معنى أرق من النسيم وألطف
إذ هم على الفطر التي ولدوا ولم يظهر عناد منهم وتخلف
ونحا الإمام الفخر رازي الورى منحًى به للسامعين تشنف
قال الألى ولدوا النبي المصطفى كل على التوحيد إذ يتحنف
من آدم لأبيه عبدالله ما فيهم أخو شرك ولا مستنكف
فالمشركون كما بسورة توبة نجس وكلهم بطهر يوصف
وبسورة الشعراء فيه تقلب في الساجدين فكلهم متحنف
هذا كلام الشيخ فخر الدين في أسراره هطلت عليه الذرف
فجزاه رب العرش خير جزائه وحباه جنات النعيم تزخرف
فلقد تدين في زمان الجاهلية فرقة دين الهدى وتحنفوا
زيد بن عمرو بن نفيل هكذا الصديق ما شرك عليه يعكف
قد فسر السبكي بذاك مقالة للأشعري وما سواه مزيف
إن لم يكن عين الرضا منه على الصديق وهو بطول عمر أحنف
عادت عليه صحبة الهادي فما في الجاهلية للضلالة يعرف
فلأمه وأبوه اجرى سيما دارت من الآيات ما لا يوصف
وجماعة ذهبوا إلى إحيائه أبويه حتى آمنا لا خوفوا
وروى ابن شاهين حديثاً مسنداً في ذاك لكن الحديث مضعف
هذا مسالك لو تفرد بعضها لكفى فكيف لها إذا تتألف
وبحسب من لا يرتضيها صمته أدباً ولكن أين من هو منصف
صلى الإله على النبي محمد ما جدد الدين الحنيف محنف

حديث يتعلق بهما

قال البيهقي في « شعب الإيمان » : أخبرنا أبو الحسين بن بشران أنا أبو جعفر الرازي أنبأ يحيى بن جعفر أنا زيد بن الحباب أنا ياسين بن معاذ ثنا عبد الله بن يزيد عن طلق بن علي قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : لو أدركت والديَّ أو أحدهما وأنا في صلاة العشاء وقد قرئ فيها بفاتحة الكتاب فنادى : يا محمد ! لأجبتهما : لبيك . قال البيهقي : ياسين بن معاذ ضعيف .

فائدة

قال الأزرقي في « تاريخ مكة » : حدثنا محمد بن يحيى عن عبد العزيز بن عمران عن هشام بن عاصم الأسلمي قال : لما خرجت إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم في غزوة أُحد فنزلوا بالأبواء[1] ، قالت هند ابنة عتبة لأبي سفيان بن حرب : لو بحثتم قبر آمنة أم محمد ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فانه بالأبواء فإن أُسر أحد منكم افتديتم به كل إنسان بأرب

(١) الأبواء قرية من أعمال الفرع من المدينة بينها وبين الجحفة مما يلي المدينة ثلاثة وعشرون ميلاً ، وقيل : الأبواء جبل على يمين آرة ويمين الطريق للمصعد إلى مكة من المدينة وهناك بلد ينسب إلى هذا الجبل ، قال السكري : الأبواء جبل شامخ مرتفع ليس عليه شيء من النبات غير الخزم والبشام وهو لخزاعة وضمرة . وبالأبواء قبر آمنة بنت وهب أم النبي ﷺ ، وكان السبب في دفنها هناك أن عبد الله والد رسول الله ﷺ كان قد خرج إلى المدينة يمتار تمراً فمات بالمدينة ، فكانت زوجته آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة تخرج في كل عام إلى المدينة تزور قبره ، فلما أتى على رسول الله ﷺ ست سنين خرجت زائرة لقبره ومعها عبد المطلب وأم أيمن حاضنة رسول الله ﷺ فلما صارت بالأبواء منصرفة إلى مكة ماتت بها ؛ ويقال : إن أبا طالب زار أخواله بني النجار بالمدينة وحمل معه آمنة أم رسول الله ﷺ ، فلما رجع منصرفاً إلى مكة ماتت آمنة بالأبواء ، انتهى ما في معجم البلدان مختصراً ـ الرشيد القادري .

من آرابها ، فذكر ذلك أبو سفيان لقريش ، فقالت قريش : لا تفتح علينا هذا الباب ! إذن يبحث بنو بكر موتانا .

فائدة

من شعر عبد الله والد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أورده الصلاح الصفدي في تذكرته :

لقد حكم السارون في كل بلدة ... بأن لنا فضلاً على سادة الأرض
وأن أبي ذو المجد والسودد الذي ... يشار به ما بين بسر إلى حفض
وجدي وآباء له أبلوا العلى ... قديماً لطلب العرف والحسب المحض

* * *

تذكرة المؤلف الهمام على قدر السعة في الاختتام

هو الشيخ الإمام العالم العلامة ، العمدة الفهامة ، وحيد دهره ، فريد عصره ، جامع أشتات الفضائل ، حاوي عقود جواهر الأواخر والأوائل ، جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن ابن الشيخ الإمام والحبر الهمام كمال الدين أبي بكر السيوطي الشافعي تغمدهما الله برحمته وأسكنهما بحبوحة جنته .

قال المؤلف في ترجمته في كتابه « حسن المحاضرة » : كان مولدي بعد المغرب ليلة الأحد مستهل رجب سنة تسع وأربعين وثماني مائة ، وحملت في حياة أبي إلى الشيخ محمد المجذوب رجل كان من كبار الأولياء بجوار المشهد النفيسي فبرك علي ، ونشأت يتيماً فحفظت القرآن ولي دون ثماني سنين . وشرعت في الاشتغال بالعلم من مستهل سنة أربع وستين .

وأجزت بتدريس العربية في مستهل سنة ست وستين وقد ألفت في هذه السنة (فكان) أول شيء ألفته « شرح الاستعاذة والبسملة » وأوقفت عليه شيخنا شيخ الإسلام علم الدين البلقيني ، فكتب عليه تقريظاً ، ولازمته في الفقه إلى أن مات رحمه الله تعالى .

ولزمت في الحديث والعربية شيخنا الإمام العلامة تقي الدين الشبلي الحنفي فواظبته أربع سنين ، وكتب لي تقريظاً على « شرح ألفية ابن مالك » وعلى « جمع الجوامع » في العربية تأليفي ، وشهد لي غير مرة بالتقدم في العلوم بلسانه وبنانه ، ورجع إلى قولي مجرداً في حديث ولم أنفك عن الشيخ إلى أن مات رحمه الله تعالى . ولزمت شيخنا العلامة أستاذ الوجود محيي الدين الكافيجي أربع عشرة سنة فأخذت عنه الفنون من التفسير والأصول والعربية والمعاني وغير ذلك وكتب لي إجازة عظيمة . وشرعت في التصنيف في سنة ست وستين ، وبلغت مؤلفاتي إلى الآن ثلاث مائة كتاب سوى ما غسلته ورجعت عنه . وسافرت بحمد الله تعالى إلى بلاد الشام والحجاز واليمن والهند والمغرب والتكرور ، ولما حججت شربت من ماء زمزم لأمور، منها أن أصل في الفقه إلى رتبة الشيخ سراج الدين البلقيني ، وفي الحديث إلى رتبة الحافظ ابن حجر رحمة الله عليهما . ورزقت التبحر في سبعة علوم : التفسير والحديث والفقه والنحو والمعاني والبيان والبديع على طريقة العرب والبلغاء لا على طريقة العجم وأهل الفلسفة .

وقد كملت عندي الآن آلات الجهاد (الاجتهاد) بحمد الله تعالى . أقول ذلك تحدثاً بنعمة الله تعالى لا فخراً ، ولو شئت أن أكتب في كل مسألة مصنفاً بأقوالها وأدلتها النقلية والقياسية ونقوضها وأجوبتها لقدرت

على ذلك من فضل الله لا بحولي ولا قوتي ـ انتهى ملخصاً حسب مقتضى المقام .

ثم ذكر المؤلف فهرس مؤلفاته على ثلاث صفحات تركت نقله لضيق المقام ، وسأنقله إن شاء الله على ختم رسالة أخرى فإنه يورث العلم الإجمالي على ما في المؤلفات ، فإن الأسماء تدل على المسميات .

وقال العالم اليلمعي المولوي عبد الحي اللكهنوي الهندي رحمه الله في كتابه « التعليقات السنية » : هو مجدد المائة التاسعة خاتم الحفاظ جلال الدين عبد الرحمن بن كمال الدين الأسيوطي الشافعي المتوفى سنة ٩١١ ، صاحب التصانيف التي سارت بها الركبان وانتفع بها الإنس والجان وقد زادت على خمس مائة ، وشهرة ذكره تغني عن وصفه رحمه الله رحمة واسعة كاملة شاملة دائمة ـ انتهى ما كتبه مولانا الشيخ الحسن بن أحمد النعماني الحنفي مصحح الدائرة سابقاً رحمه الله تعالى .

وقال خير الدين الزركلي في الجزء الرابع من قاموس تراجم الأعلام ص ٧١ : الجلال السيوطي (٨٤٩ ـ ٩١١ هـ / ١٤٤٥ ـ ١٥٠٥ م) عبد الرحمن بن ابي بكر بن محمد بن سابق الدين الخضيري السيوطي جلال الدين إمام حافظ مؤرخ أديب . له نحو ٦٠٠ مصنف ، منها الكتاب الكبير ، والرسالة الصغيرة . نشأ في القاهرة يتيماً (مات والده وعمره خمس سنوات) ولما بلغ أربعين سنة اعتزال الناس ، وخلا بنفسه في روضة المقياس على النيل منزوياً عن أصحابه جميعاً كأنه لا يعرف أحداً منهم ، فألف أكثر كتبه . وكان الأغنياء والأمراء يزورونه ويعرضون عليه الأموال والهدايا فيردّها . وطلبه السلطان مراراً فلم يحضر إليه ، وأرسل إليه هدايا فردها . وبقي على ذلك إلى أن توفي ـ انتهى مختصراً .